الجُمْهُورية الجزائرية الدّيمُقْراطية الشّعْبية

وزارة التّعليم العالي و البحث العلْمي

المرْكز الجامعي علي كافي تندوف

معْهد اللُّغة و الأدب العربي

قسم اللّغة و الأدب العربي

التّخصص :أدب جزائري

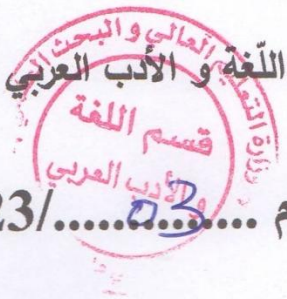

رقم ...03...../2023

مُذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة مـاستر أكاديمي

بعنوان:

الرّواية الاجْتماعية في الأدب الجزائري
(رواية الزّلْزال للطّاهر وطّار أُنموذجًا)

عداد الطّالبة : بلعزّوق حورية

إشراف الأستاذ: د. جعفري مبارك

لجنة المُناقشة :

.د.لاطرش عبد الله	أُستاذ التّعليم العالي بالمركز الجامعي تندوف	رئيسًا و مُمتحنًا
.جعفري مبارك	أستاذ مُحاضر" ب " بالمركز الجامعي تندوف	مُشرفًا و مُقرّرًا
. باتني آسية	أستاذ مُساعد" أ " بالمركز الجامعي تندوف	مُمتحنًا

السّنة الجامعية : 2023/2022 م

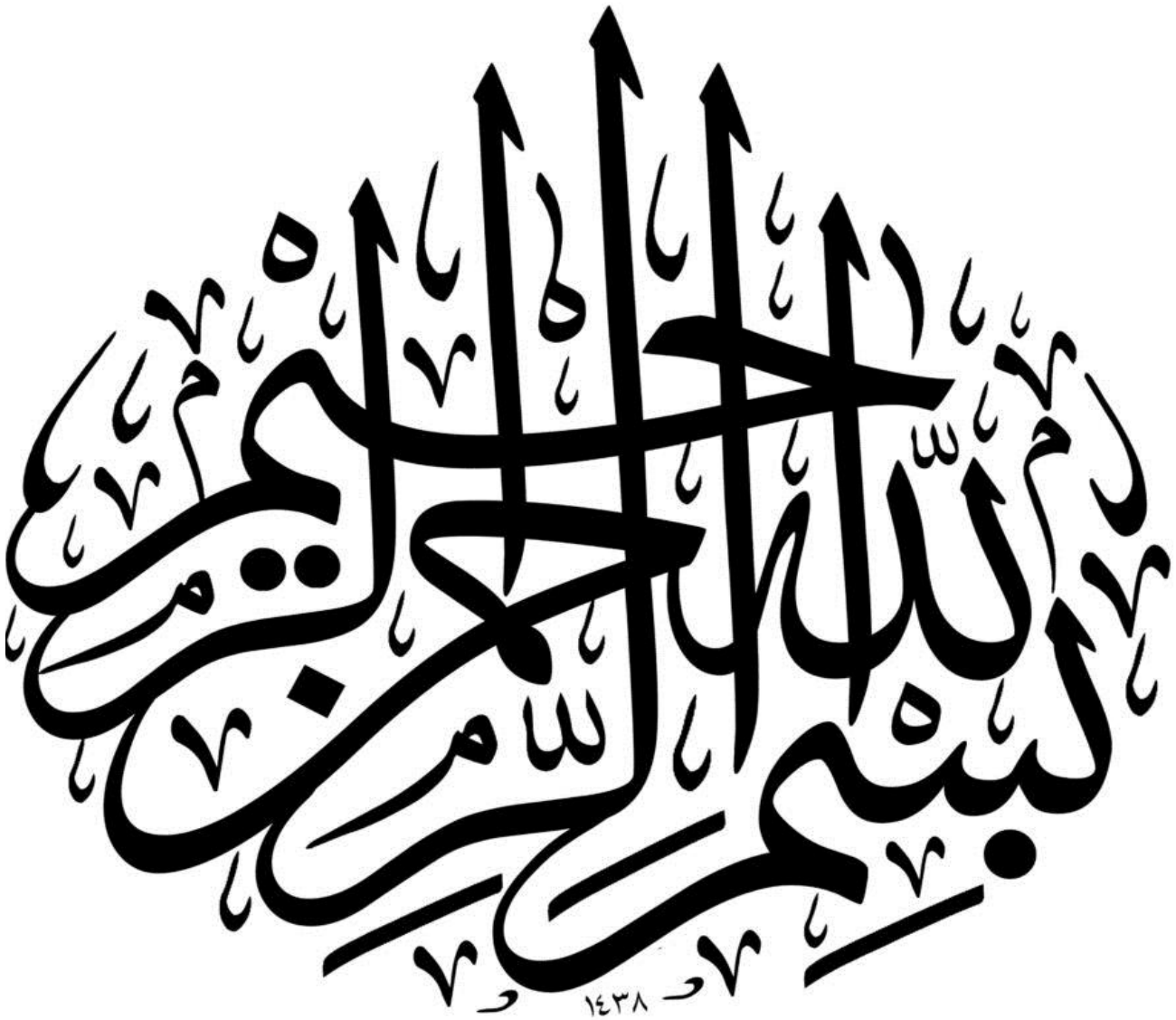
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

إهـــــــــــــداء:

بسم الله أبدأ وبه أستعين والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد وآله و صحبه أجمعين أمّا بعد :

أهدي بحثي إلى إمام الذّاكرين وقدوة السالكين ومعلم المتعلمين ، إلى الفؤاد الطّاهر الذي ضخّ نور الهداية إلى رسول الإنسانية من أرسل رحمة للعالمين ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

ثمّ أُهديه :

إلى نبع الحنان ... أمي

إلى من أحمل اسمه بكل فخر ... أبي

إلى أخواتي و صديقاتي الغاليات ...

إلى زوجي شريك حياتي .. الذي قاسمني كل الدروب .

إلى أولادي : وائل و رائد .

إلى الذين رفعوا رايات العلم واخمدوا رايات الجهل إلى أساتذتي الأفاضل وأخص بالذكر :

الأستاذ : جعفري مبارك والأستاذ لاطرش ، الأستاذة : باتني آسية و الأستاذة غريبي صباح ...

فلكل هرم قمة ولكل طريق نهاية ولكل مقدمة خاتمة ولكل اجتهاد ثمرة ولكل عمل أجر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا و يوفق أساتذتنا و أن ينعم علينا و عليهم بموفور الصحة و الهناء.

احْترامـــي وتقْـــديـــري لهُـم مَـــا حييـــت

بلعزُّوق حُورية

مُقَـــــدّمة:

مُقَدّمـــــــــــــة

يُرافق الفن الرّوائي سيرورة المُجتمعات ويرصد الكثير من ظواهرها المُعلنة والمكتومة، فيكشفها وينتقدها ويُحلّلها ، وذلك من خلال كائناته الورقية التي تتجسد ككائن حي، فتغدو مُضاهية له في تفكيره و أحاسيسه، في تداعياته وأوضاعه مع الرّاهن فنُحسها وهي تفرح و تحزن ، تُحب وتكره ، تخاف وتطمئن تُسامح وتنتقم، تقتُل وتُقتَل .... فنحكم على حالة بعضها بالصّحة والسّواء،وعلى حالة بعضها الآخر بالاضطراب و المرض. فالرواية من أهم الأشكال السّردية التي احتلت الصّدارة في الدراسات الأدبية الحديثة، حتى أضْحت اليوم الفن الكتابي الأكثر شُهرة ، فهي في معناها الحديث تفرض مُجتمعًا مُنتظمًا، باعتبارها تولد من رحم المدينة، كما تُعدّ وسيلة من وسائل التعبير عن الأفكار، مُستمدة مادتها من الإنسان والمجتمع، وأحداثها هي صراعات الأفراد داخل المُجتمع، وحتى صراعات الفرد مع نفْسه .

إنّ ارتباط الرّواية بالحياة والمُجتمع جعلها ذات طبيعة خاصّة وذات وظائف مُحدّدة، وجنسًا مُركبًا من الأحداث الواقعة في المُجتمع، إذ تُعبّر تعبيرًا دقيقًاوشاملًا عن واقع الصّراع الإنساني، حسب وجهة نظر الكاتب أو النّاقد أو القارئ، بصيغة سردية مكتوبة بلُغة نثرية مُنتقاة من لُغة المُجتمع ، ومن هذا المُنطلق وقع اختياريعلى هذا الموضوع : (الرّواية الاجتماعية في الأدب الجزائري – رواية الزّلزال للطّاهر وطّار أُنموذجًا) .

وقد ركّزت هذه المُقاربة على الكتابة الروائية التي انفردت بدراسة تجربة واقعية أعطت ميزة خاصة للأدب الجزائري، وكذلك تأكيدًا لرغبة النّفس في دراسة جزء من الفن الجزائري السّردي عمومًا وعلى أحد أعمال الطاهر وطار خُصوصًا ، ورغبةً منّي في إنماء وعيي بالمُتغيرات الاجتماعية والتّاريخية، ولتوْسيع ثقافتيبمعرفة السّرد الجزائري خاصّة الاجتماعي منه وخلفيات قضاياه ولمعرفة ما مدى تصوير الرّواية الجزائرية لأحوال المجتمع ، فكان يجب طرح التّساؤلات الآتية : ما علاقة الفن السّردي بقضايا

وهموم الناس ؟ وما دَوْر الرّوائي في حلّ أزمات مُجتمعه ؟ وإلى أيّ مدى تجلّى البُعْد الاجتماعي في روايات الطّاهر وطّار ؟ وهلْ فعْلًا نقلت هذه الرّوايات ما عاناه الشّعب الجزائري من مُخلّفات الاسْتعمار ؟ وإلى أيّ مدى انفتحت هذه الأعمال في طرح هذه المشاكل و مُعالجتها ؟ وما هي أهم القضايا الاجتماعية التي طرحها الطّاهر وطّار ؟ وهل كانت روايته فعلًا ذات بُعد اجتماعي احتوى كل ما يعانيه المُجتمع الجزائري ؟ .... كل هذه التساؤلات وغيرها، يمكن أن أجيب عنها في دراستي هذه للوصول إلى علاقة الرواية بقضايا المُجتمع .

وللوقوف على ما قدمته الرّواية من قضايا اجتماعية عاشها المُجتمع الجزائري رأيتُ أنّ أنسب منهج يُمكن اتّباعه هو المنهج الوصْفي التّحليلي ، أحد أهم المناهج التي تتّبع قضايا ومظاهر المُجتمعات .

فجاءت خُطّة البحث كالآتي : الفصل الأول الذي خصّصتُه للدّراسة النّظرية للوقوف على كل ما يتعلق بالرّواية الاجتماعية من نشأة ومُرتكزاتوخصائصومُقوّمات ومراحل تطوّرها في الجزائر وعلاقتها بالواقعية الاجتماعية، ثمّالفصل الثّاني الذي سلّطتُ فيه الضّوء على الحياة الخاصّة للطّاهر وطّار وعالمه الرّوائي ومدى تأثير التّحوّلات الاجتماعية على رواياته ، و بعدها تطرقتُ إلى مُلخّص رواية الزّلزال والبُعد الاجتماعي في كل باب من أبوابها السّبعة . ثم الخاتمة لتحصيل أهم النّتائج وإن كانت هزيلة ، إلّا أنها زُبدة العمل، فقد جاءت – في رأيي – مُركزة شملت كلّ ما تمّ تقييمه في فصول البحث .

كما اعتمدتُ على عدة مراجع و ركّزت عليها أكثر من غيرها ، و التي عُدّت على أنّها من ضمن المصادر بحُكم المادة النظرية ، و حتى التطبيقية التي أقدمها ، من بينها :

- أبو القاسم سعد الله (دراسات في االأدب الجزائري) .
- محمد ساري (الأدب و المُجتمع) .

- سعيد يقطين (قضايا الرواية العربية الجديدة) .
- السعيد بوطاجين (علامات سردية) .
- عبد المالك مرتاض (في نظرية الرواية) .

وإن كان هناك من صعوبات فهي كثيرة ، خاصة أمام طالب يبدأ بحثه بمقاربته للأعمال الروائية ، و يعلم الأستاذ تمام العلم أن البحث في الرواية ليس بالأمر الهين و لا يسيرة مسالكه ، فكان القبض على المُصطلح أشدّ هذه الصّعوبات فكلما تمكنا منه تملّص ليأخُذ مفهومًا آخر يختلف باختلاف الدّارسين . كما كان حجم الرواية المدروسة هو الآخر عقبة حيث اختلفت الطبعات و كثُرت الصّفحات ، فكانت الأفكار كثيرة و تحتاج إلى شيء من البسط و الطرح للوصول إلى معانيها المقصودة .
و ذلك يحتاج إلى من عرف التأويل و اشتغل عليه . إضافة إلى ضيق الوقت، ومع كل هذا فقد خرج البحث على هذه الصورةعلّهيكون بداية لبحوث و دراسات أخرى مُستقبلًا .

و إذا كان هُناك من كلمة شُكر فأَخصّ بها أُستاذي المشرف الدّكتور (جعفري مبارك) الذي لم يبخل عليّبالمعلومات و النّصائح و التّوجيهات ، فكان لي المُعين الأكبر على تخطي هذه العتبة التي نرى أنها من جُملة عتبات النّجاح بإذن الله ، فله منا أسمى عبارات الاحترام و التقدير.

بلعزوق حورية
تنْدوف : 2023/05/05م

الفَصْل الأوّل:
الرّوَاية
الاجتماعية

المبحث الأوّل:

1. مفهوم الرواية الاجتماعية:

إنّ التّقدم الحضاري الذي شهدته البشرية كان ذا منحى سلبي أكثر منه إيجابي، وذلك لما خلفه من تغيرات عديدة على مستوى مناحي الحياة خاصة الاجتماعية ، وعلى الأدب بصفة خاصة حيث أثرت بشكل كبير على المفاهيم والقيم الاجتماعية :

جديرٌ بالذّكر أنّ الرّواية اليوم "هي أداة أساسيةٌ واجتماعيةٌ هامة تُعَبّر عن روح المُجتمع ومُشْكلاته وقضاياه الأساسية ... ولها أدوار عديدة في المُجتمع الحديث كدور الكاهن ، ودور المُشرف السّياسي ، ودَوْر المُعلم ، ودَوْر الصّحفي ، ...."[1] في القرن العشرين شهدت الرواية أوج ازدهارها ، وزادها تعمّقها في الضّمير الإنسانيوارتباطها الشّديد بالمُجتمع فالأديب الرّوائي أصبح اليوم لا يقلّ أهمية عن عالم الاجتماع في تصوير الواقع الاجتماعي و التنبّؤ بالمُستقبل وهكذا أصبح للرّواية الاجتماعية دورًا كبيرًا في رصْد أوضاع المُجتمع و تجسيد أزماته و تحليل قضاياه الأساسية من خلال الشّخصيات الرّوائية لهذه الرّواية ، فالرّواية من أكثر فنون الأدب قُدرةً على تصوير حركة الإنسان في علاقته بمُجتمعه سواء كان هذا التصوير واقعيًا مُباشرًا أو رمزيًا مُستترًا إنها أكثر أشكال الأدب تأثيرًاوانتشارًا في المُجتمع .

2. نَشْأة الرّواية الاجْتماعية:

أ. نَشْأَة الرّواية الاجْتماعية عنْد الغرب:

لقد تناول الغرب الرّواية الاجْتماعية بشكل كبير و ذلك لكوْنها تُعَبّر عنْ واقعهم كونها رواية واقعية ترصد القضايا الاجتماعية بالدّرجة الأولى و كان أوّل بروز لها على السّاحة الغربية على يد (مدام دي ستايل) بظهور أوّل دراسة جادّة عن الرّواية بوصْفها واقعية تُعَبّرعن المُجتمع ، وهي دراسة (مدام دي ستايل) و كان عُنْوانها (دراسة الأدب من خلال علاقته بالمُؤَسّسات الاجتماعية عام 1880م)[2].

---

[1]– سعود فطيمة ، قسم اللغة العربية و آدابها ،(مُحاضرات)، جامعة الجلفة ، د ط ، ص 123 / 124.

[2]– يُنظر : مدحت الجبار، النص من منظوراجتماعي ، دار الوفاء الاسكندرية ، ط1 ، 2001 ، ص 50.

لقد اختلف الاهتمام بالرواية الاجتماعية من بلد غربي لآخر؛ إذ نجد فرنسا من السّبّاقين إليها فكانت بدايتها بظهور روايتين مشهورتين ، وبعض الأعمال القصصية التي أخذت في الظهور منظومة ومنثورة للتعبير عن أغراض جديدة وثيقة الصلة بحياة الطبقة الشعبية آنذاك[1].

كما اهتمت بها كل من إنجلترا وأمريكا للتعبير عن مجتمعاتهم فيقول" رولان بارت " عن الرواية الاجتماعية في بعض كتاباته " أن الرواية الاجتماعية عمل قابل للتكيُف مع المُجتمع وأن الرواية تبدو كأنها مُؤسسة أدبية ثابتة الكيان ، فهي الجنس الأدبي الذي يُعبر بشيء من الامتياز عن مؤسسات مجموعة اجتماعية بنوع من رؤية العالم الذي يجره معه ويحتويه في داخله[2] " .

يتضح من هذا القول إنّ رولان بارت يعتبر الرواية الاجتماعية هي الوسيلة الأكثر تعبيرًا وتأثيرًا من غيرها من الوسائل الاجتماعية .

ب. نَشْأَة الرّواية الاجتماعية عنْد العرب :

إذا كان الغرب قد انصب اهتمامهم على الرّواية الاجتماعية للتعبير عن ظروفهم وقضاياهم الاجتماعية ، فإنّ العرب بحاجة إليها أكثرمن غيرهم وذلك لتأزّم الواقع العربي وتدهوره.

قال الروائي رامي أحمد " إن الرواية هي رحلة يأخذ خلالها الكاتب قارئه إلى فكرة معينة، مُضيفًا أنه يوجد رواية من الصفة الاجتماعية باعتبار أن الواقع هو المَدخل الأساسي للرّواية وهو عامل الجذب الوحيد للقارئ[3]".

يتّضح لنا من خلال هذا القول أنّ الكاتب يُمكنه أنْ يُبحر بعقل القارئ من خلال قضية مُعينة مستقاة من الواقع الاجتماعي لأنّ القضايا الاجتماعية أكثر شيء يسْتَلْهم القُرّاء .

---

[1]– علاء السعيد حسان ، نظرية الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين ، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، ط1 ، 2014 ، ص 10

[2]– عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، علم المعرفة ، الكويت ، 1998م، ص 34.

[3]– صبري موجي ، الرواية الاجتماعية و تحدياتها ، الأربعاء 10 فبراير 2016م. مقال .

و يُعَدّ هذا النوع من الرواية أوسع أنواع القصص الحديثة انتشارًا و أكثر ما عالجه الكاتب قبل الحرب العالمية الأولى هو الموضوعات الوجدانية ، العاطفية ، الخيالية ...

فانصرف الكُتَاب إلى كتابة قصص المُغامرات و الفواجع الغرامية بحيث عالج الكاتب في هذه الفترة مُختلف القضايا الاجتماعية و الاقتصادية التي سببتها الحربان العالميتان[1].

ونجد للمقتطف الشهير يعقوب صروف منشى عددًا من الروايات الاجتماعية ومن أبرزها : فتاة مصر ، يعرض فيها القضايا الاجتماعية و الاقتصادية والدولية، إلى جانبها رواية زينب" لمحمد حسين هيكل" التي تُعَد أول رواية اجتماعية وهي مُستمدة من الحياة المصرية ، تصف الريف المصري وأهله وعاداتهم وتقاليدهم وطُرُق معيشتهم وصفاً يكشف عن حُسن اختيار ودقة مُلاحظة .

ويُعَدّ هذا النّوع من الرّوايات أهمّ دعائم الفن المُعَبّر عن الكينونة الاجتماعية للمُجتمع وأجمل النّماذج الرّوائية العربية التي ظلّت مُرتبطة بالواقع بعد أن عملت على استحضاره بطريقة فنية[2] .

ونرى أنّ الرّواية العربية الحديثة عرفت إقبالًا كبيرًا من الكُتّاب خاصّةً بعد التغيُّرات والتّطوُّرات الاجتماعية ، ويتّضح هذا الكلام من خلال القول " و مُنذ انطلاق الرواية العربية الحديثة و هي تعرف تطوُرات و تحوُلات في الشكلو المضمون ، بفضل تطوُر بنيات المُجتمع، و هذا التغيُر في التعبير الفني كان نتاجًا للتغيير في الواقع[3] ".

و نرى الناقد" طه حسين" قد عبر عن رفضه لقضايا مثل الفقر في رواية (مُعذبون في الأرض).

الخطاب الروائي يستدعي قضايا و انشغالات المُجتمع بمختلف تحولاته كما يستدعي المصادر الثقافية و يحاور المرجعيات ، و عندها يشكل هوية النص ، و يُعد

---

[1]– أحمد فرشوخ ، حياة النص دراسات في النص الأدبي ، دار الثقافة ، دار البيضاء ، ط1، 2004م ، ص 134.

[2]– ينظر : المرجع نفسه ،ص 134.

[3]– ساندي سالم أبو سيف ، الرواية العربية و إشكالية التصنيف ، ص 87 .

المرجع الاجتماعي من أهم التكوينات التي تجسد و تشكل البنية الدلالية للرّواية والمنظور الفكري للرّوائي.

إنّ السّرد الرّوائي لا يعكس الواقع الاجتماعي و الثّقافي و السّياسي لمُجتمع من المُجتمعات بل يصفه من خلال مُختلف الأعمال الأدبية وهي صُورة تمثيلية لهذا المُجتمع و يكمُن ذلك في الاهتمام بمُعالجة مُختلف قضاياه ، فقد " ظهرت الرواية قبل قيام المُجتمع الرأسمالي فقد انصب نضال الرّوائيين ضدّ استعباد الإنسان في القرون الوُسطى و تُمثل حُرّية الفرد المثل الأعلى لهم و مع ظهور تناقُضات المُجتمع البُرجوازي اضطر الرّوائيون إلى خوض صراع ضد عبودية الإنسان ، في المُجتمع الجديد و اتسم الأسلوب بالواقعية الفنتازيا[1] "

و نخلص مما سبق إلى القول إن الرواية الاجتماعية هي الرواية التي تُعالج مُختلف قضايا المُجتمع و تصفه و تُصوره و تُجسده من خلال مُكوناتها الفنية المُختلفةنشأ عند الغرب على يد (مدام دي ستايل) ثم أخذها العرب فنجد منهم من عالج مواضيع اجتماعية هامة مثل : "طه حسين" ، و" محمد حسين هيكل" .. وغيرهما.

3. مُرتكزات الرواية الاجتماعية:

لطالما كانت الرواية الاجتماعية مُحتضنة للشعب و لقضاياه و التغيُرات التي تطرأ عليه و تُصور أهم المُشكلات الرئيسية للوُجود الاجتماعي و البشري في صورة صادقة للواقع الاجتماعي في قالب فني .

من أجل بناء هذا القالب الفني لابُد من الرُجوع إلى الحياة الاجتماعية بأبعادها و تغيُراتهاو الاهتمام بالضمير الإنساني " بحُكم أن النص الروائي يُبنى علىخُصوصيات معرفية وفنية هي في جوهرها نموذج لعلاقات القيم المُتبادلة من الفكر والواقع الاجتماعي[2] " .

[1]– محمد ساري ، الأدب و المجتمع ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، (دت) ، ص 2.

[2]– فتحي بوخالفة ، شعرية القراءة و التأويل ، علم الكتب الحديثة ، الأردن ، ط 1 ، 2010م ، ص 134 .

فالكاتبُ حين يرسمُ واقعًا اجتماعيًا " لا ينجح في رسمه إلا إذا امتلك الوعي الأدبي المُلائم، أي يتعرف على المُستويات الأدبية المحادثة للواقع الاجتماعي[1]" .

فلابُد للكاتب أن يكون داريًا و عارفًا بثقافة المُجتمع ليتمكن من تقديم عمل فني يُعبر عن واقع اجتماعي ، و شيءٌ مؤكدٌ أن العملية الإبداعية بصفة عامة و الرواية على وجه الخصوص لا تنشأ من فراغ ، أي من خيال بحت وإنّما هي ثمرة للبنية الواقعية السّائدة الاجتماعية و الحياتية .

أي أنّ الرّواية الاجتماعية هي ترجمة للواقع الحياتي المُعاش، و يُمكن أن نعد بعض المُرتكزات الفنية التي تشترك فيها الرّوايات الاجتماعية في بعض النقاط منها:

- العودة للمُجتمع كموضوع رئيسي: فتدُور حول ما يكون من قضاياو إيديولوجيات...
- ترجمة أحوال المُجتمع و تناقُضاته و أزماته.
- تبني الواقعية كمنهج في الرواية الاجتماعية لأنها المُناسبة لها .
- رصد قضايا الإنسان و تعبير عن هُمومه و آلامه و أفراحه و إحباطاته .
- اللغة عذبة واضحة مُوحية مُلامسة للواقع خالية من البلاغة و مناسبة لثقافة كل شخصية[2].
- تمثيل البيئة و المُجتمع و العادات بطريقة دقيقة و موضوعية .

فلا نجد رواية اجتماعية إلا و كانت بهذه المقومات و المرتكزات ، فتكون لُغتها سهلة واضحة موحية ، و موضوعها قضية اجتماعية مُعينة مبنية بواقعية بحتة مُمثلة لمشاكل الإنسان الاجتماعية الاقتصادية و الثقافية ، فتكون بذلك ثمرة مجهودات روائي اتخذ من الواقع الاجتماعي منظورًا فكريًا يصبه في قالب فني روائي .

[1]– إبراهيم عباس ، الرواية المغاربية ، تشَكُل النص السردي في ضوء البُعد الإيديولوجي ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط1، 2005 ، ص 317.

[2]– المرجع نفسه، ص285 .

المبْحث الثّاني:

1. نشْأة الرّواية الاجتماعية في الجزائر:

نشأت الرواية الجزائرية مُتأخرة مُقارنةً بالرواية في الأقطار العربية الأُخرى ، نتيجة وضع خاص و ظروف عرفتها الجزائر دون غيرها في العالم العربي و قد أحاطت هذه الظروف بالثقافة العربية في الجزائر فأخرت نشأة الرواية.

ولعل سبب تأخر ظهور هذا الجنس الأدبي من منظور النُقاد له علاقة سببية مُباشرة بالاستعمار الذي عمل طوال تواجده في البلد (1962/1830) على محو كل ما كان ذا صلة بالثقافة و الفكر و التعليم ، و ظلت التجارب الأدبية مُترددة لفترة زمنية طويلةو خجولة في ظل الحصار المفروض عليها من طرف الفرنسيين[1] .

فبينما كانت الرواية في الدول العربية تخطو خطوات واسعة و ظهر كتاب أرسوا دعائمها مثل : (جورجي زيدان ، محمد تيمور ، محمد حسين هيكل و نجيب محفوظ ....) و غيرهم، كانت الجزائر لا تزال تتلمس طريقها و تبحث عن شخصيتها التي حاول الاستعمار طمس معالمها و القضاء عليها ، و لم يسمح للرواية أن تظهر إلا في السبعينات من القرن الماضي و ذلك بسبب الانعزال السياسي و الثقافي في البلاد و تأخر النهضة الثقافية في الجزائر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى فكانت أول رواية فنية عرفها الأدب الجزائري هي "ريح الجنوب"(لعبد الحميد بن هدوقة)1970م ، و عُدت أول نص ناضج توفرت فيه مقومات الجنس الروائي في ظل الفراغ الذي ساد الساحة الأدبية الجزائرية[2].

بيد أن هذا لا ينفي وجود آراء موازية تؤكد ظهور الرواية قبل تلك الفترة بسنين متحججة بنصوص سابقة توفرت على بعض التقنيات المتواترة في هذا الجنس مثل : "غادة أم القرى" (لأحمد رضا حوحو) ، و "الطالب المنكوب"(لعبد الحميد الشافعي) ، و غيرها من الأعمال التي ظهرت قبل الاستقلال ، لكن تبقى التجارب الجنينية الأولى أقل نُضجًا و إدراكًا لجوهر الرواية بمفهومها الفعلي ، و السبب يرجع إلى انعدامو

[1]– يُنظر : السعيد بوطاجين ، علامات سردية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2019 ، ص 95.

[2]– غنية كبير، الرواية الجزائرية في النقد الأدبي، منشورات الوطن اليوم ، الجزائر ، ط 1، 2015 ، ص 89.

غياب تقاليد روائية يُمكن مُحاكاتها و الكتابة على تقاليدها كما أنّ فن الرّواية يحتاج إلى لُغة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة ، ويحتاج أيضا إلى صبر وتأمُل طويل وهو ما كان يفتقده كُتّابنا قبل السبعينات[1]

ويعود السّبب أيضًا إلى " غياب الحركة النّقدية التي غيبت بدورها المُصطلح الرّوائي، وترتّب عن ذلك عدم وُضوح الرُّؤية ومفهوم الرواية[2] " فقد أصبحت اللُغة النّقدية حائرة في العثور على المُصطلح المُلائم أمام الكمّ الهائل من المفاهيم .

وكثير من النُّقّاد والباحثين يعتبرون القصّة الطّويلة والرّواية فنًّا واحدًا، إلّا أنّ الفرق واضحٌ ودقيق بينهما، وأنّ الرّواية غير القصّة الطّويلة ، كما أنّ الأُدباء الجزائريين عام 1954م كانوا يُطلقون على كلّ مسرحية مُصطلح رواية[3] .

وأيًا كانت الآراء التي قُدمت عن البدايات الأولى للرواية الناضجة التي أعلنت البداية الحقيقية للرواية الجزائرية باللغة العربية[4] فهي تُعد انعطافه في مسيرة السرد الروائي الجزائري ونهضة جديدة وبداية جديدة للأدب الجزائري وثقافته العربية مع اتساع الجهود الإبداعية ووعي الذات بالقومية ونزوعها إلى الأصالة .

كانت مرحلة السبعينات بداية حياة جديدة للجزائريين بجميع الميادين سياسيا ، ثقافيا، وخاصة اجتماعيا وفكريا ، فهي فترة مميزة وخاصة في تاريخ الجزائر ، "عرفت ارتقاء الجامعة على عدة أصعدة إضافة إلى التحوُلات الاجتماعية والسياسية الجذرية التي ميّزت هذه الحقبة المخصوصة من تاريخ البلد[5] " .

حيث ساعدت هذه الأجواء المُميزة حياة الكاتب فتقوّت الرّواية بذلك وبرزت عشرات الأسماء الرّوائية أغلبها أساتذة جامعيين .

---

[1]– يُنظر :محمد مصايف ، النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1983 ، ص 198 .

[2]– حفناوي بعلي ، تحوُلات الخطاب الروائي في الجزائر آفاق التجديد و متاهات التجريب ، دار اليازودي العلمية للنشرو التوزيع ، عمان ، الأردن ، د ط ، 2015 ، ص 169 .

[3]– يُنظر : عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، ص 23.

[4]– يُنظر: مصطفى فاسي ، دراسات في الرواية الجزائرية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، دط ، د ت ، ص89 .

[5]– السعيد بوطاجين ، علامات سردية ، ص 101 .

ومن النّصوص الروائية التي ظهرت في هذه الفترة نجد رواية " اللّاز" للطّاهر وطّار، سنة 1972م / و" الزلزال " 1974م ، رواية " نهاية الأمس" لعبد الحميد بن هدّوقة1975 / " نار و لوز" لعبد المالك مرتاض 1975 / وما لا تذروه الرّياح لمحمد عرعار 1972م ، وغيرها من الأسماء التي كلّلت هذه الفترة وعملت على تأسيس الرّواية في الجزائر .

وتُعدّ القضايا التي تناولها الكُتّاب الجزائريون قضايا اجتماعية واقعية ، حيث لم يتكلّفوا العناء في نقلها بل جعلوا من كتاباتهم تصويرًا لواقعهم لا أكثر ، و" بالتّالي فقد عكس هذا المذهب و بالدّرجة الأولى التّعبير عن الواقع ..... تناول القضايا الاجتماعية من خلال ارتباطها الوثيق بالمُجتمع والتي كانت في مُجملها تجْسيدًا للواقع المرير والنزاعات الفردية ، شكلت بذلك الصّراع الطبقي بصورته المادية ، تتخلّل مساماته ضحايا الفقر والبطالة والأمية بكلّ ما تعانيه الأمم والشّعب الجزائري[1] " .

2. مراحل تطوّر الرّواية الاجتماعية في الجزائر :

مرت الرواية الجزائرية وهي تسعى إلى تشكيل خطابها المتميز بمراحل سواء على المُستوى الفنيأوالمضموني ومع ارتباطها بالسياقات الثّقافية والسّياسية و الاجتماعية أحصى لها الدارسون والباحثون ثلاث مراحل مُتباينة فكانت فترة السبعينات تُقابلها مرحلة التأسيس ، وفترة الثمانينات تُقابلها مرحلة التأصيل ، ثمّ تأتي مرحلة التسعينات و ما بعدها و تقابلها مرحلة التجريب[2].

وكلّ مرحلة من هذه المراحل الثّلاثة لها حضورها وإنتاجها الرّوائي الخاص بها شكلًا وفنًا وأسْلوبًا:

أوّلًا : مرحلة السّبعينيات: تُعدّ هذه المرحلة التي هيمن فيها الخطاب الاشتراكي ، وسايرت الواقع والمجتمع بجميع قضاياه وتغيراته ، وطبعت فيه النّصوص الرّوائية بالطّابع الاجتماعي والسّياسي ، فالكُتّاب الأوائل كانوا من جيل الثورة والاستقلال لذا

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، (د ط) ، الجزائر ، 2007م ، ص 58/57.

[2]– يُنظر : إبراهيم عبد النور ، الممارسة النقدية في الرواية الجزائرية بين الذاتية و الموضوعية ، قراة في نماذج نقدية لروايات جزائرية ، الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة ، جامعة بشار ، الجزائر ، (د س) . ص 17.

جاءت كتاباتهم نضالية تجمع بين الإبداع والوعي السياسي ودعم الطّبقة الكادحة اجتماعيًا ، فهم رأوا في هذا الخطاب ما يجسد فيهم العدالة الاجتماعية التي صارت حلم الأغلبية المفقرة[1].

ثانيًا : مرحلة الثّمانينيات:هذا التّوجه الاجتماعي بدأ يزول مع بداية الثّمانينيات مع جيل جديد أراد تغيير نمط الكتابة الرّوائية و تجاوُز ما هو سائد فقد جاءت هذه المرحلة نتيجة التحوُلات الاجتماعيةوالفكرية التي رسّخت فكرها وأدبها عبر العالم فبدأت الكتابة تتحرّر من هذا التّوجه سواءً من قبل كُتّاب سبق لهم وتأثّروا بهذا الاتجاه أو آخرون تمثّلوا المرحلة بكلّ حُمولاتها الفكرية والجمالية ، وكانت الجامعة الجزائرية المُساعد والعامل الأوّل في حدوث هذا التحوّل ، إذ كانت لها مُساهمة كبيرة في إثراء الدراسات الإنسانية وإقحام مناهج حداثية التي كان لها الأثر الكبير في توسيع الرُؤى والإقبال على النّقد الجديد وما يطرحه من طموحات في الميدان الفكري و الإبداعي[2].

كانت تجربة هذا الجيل حديثة بحمولاتها الفنية والجمالية استطاعت أن تؤسس لنفسها نتاجًا فنيًا خاصًا بها لا يمكن تجاهله.

أمّا عن الأعمال التي ظهرت في هذه الفترة فتنوعت بين أسماء مألوفة الحضور في السّاحة الرّوائية ، وأُخرى جديدة حديثة الظّهور ، ومن الأسماء الجديدة التي ظهرت في هذه الفترة نجد الروائي الحبيب السائح مع أول عمل روائي له بعنوان (زمن النمرود 1985)، وظهور أيضا عملين للروائي (جيلالي خلاص) الأولى (رائحة الكلب 1985)ورواية (حمائم الشفق 1988) إضافة إلى (مرزاق بقطاش) مع روايته (البُزاة 1982) و(محمد فلاح) الذي كتب رواية (الانفجار) سنة 1984... و غيرها من الأسماء و التجارب الروائية التي سلك أصحابها مسلك التّجديد من خلال رؤاهم و مواقفهم في التعامل مع قضايا و إشكاليات الواقع الجزائري[3].

---

[1]– يُنظر : عامر مخلوف ، الرواية و تحولاتها في الجزائر ، دراسة نقدية في ممون الرواية المكتوبة بالعربية ، اتحاد كُتاب العرب ، (دط)، 2000 ، ص 9

[2]– يُنظر: عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد،(بحث في التجريب و عنف الخطاب عند جيل الثمانينات ، منشورات اتحاد الكُتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، د ط ، 2001م ، ص 24 .

[3]– يُنظر: غنية كبير، الرواية الجزائرية في النقد الأدبي، منشورات الوطن اليوم،الجزائر، ط 1،2015، ص 93.

ثالثًا: و أخيرًا مرحلة التّسعينيات : بدأت فيها النّصوص الرّوائية تأخذ لونًا آخر مع جيل جديد من الكُتّاب نشأ في وسط الخوف والمأساة والعنف الدّموي الذي رافق المُجتمع الجزائري طيلة سنوات ، حيث جاءت رواية هذه المرحلة معارضة للواقع ونقده من زوايا مُتباينة : طائفية ، عقائدية ، إيديولوجية ... فظهرت هذه الرّواية نتيجة أوضاع داخليةوخارجية التي أحدثت تغيُرات وتحوُلات في هذه الفترة ، فعاصفة الموت والدماء التي عرفتها فترة التسعينات سببها العُنف بأشكاله المُختلفة والعديدة فكانت ظاهرة العنف البؤرة السردية التي بنى عليها النّص الرّوائي التّسعيني الذي قام بنقل صور الموت والخوف والرّعب الذي عاشه الشعب الجزائري آنذاك[1] .

ونظرا للوضع المُتأزم والظروف التي كُتبت فيها هذه النصوص أُطلق عليها مسميات كثيرة تشترك جميعها في معجم واحد هو (الأزمة) وأكثر ما اصطلحت به: رواية المحنة ، رواية الأزمة ، العُشرية السوداء ، الأدب الاستعجالي ، رواية العُنف[2].....

إذًا هي ثلاث مراحل مرت بها الرّواية الاجتماعية الجزائرية خلال نشأتها : مرحلة السّبعينيات وهي مرحلة التّجريب والنّشأة ، ثمّ الثمانينيات وهي مرحلة التّأصيل وأخيرًا مرحلة التّسعينيات التي طبعت الرّواية الجزائرية بالسّواد فكانت اجتماعية بحتة .

لقد كانت الرّواية الاجتماعية الجزائرية ذات طابع خاص ، نظرًا للمراحل الاجتماعيةوالثّقافيةوالسّياسية المُختلفة التي مرّت بها الجزائر ، فتميزت هذه الكتابة بخصائص منفردة تمثلت في :

- التّحرّر من قيود الكتابة الكلاسيكية و النّزوع إلى الاستقلال عن الخطاب الإيديولوجي المهيمن.

[1]– يُنظر: الشريف حبيلة ،الرواية و العُنف ، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المُعاصرة ، عالم الكتب الحديثة للنشرو التوزيع ، اربد ، الأردن ، ط 1 ، 2010، ص 12 .

[2]– يُنظر : حسن المودن ، جدل الجسد و الكتابة في رواية أشجار القيامة للروائي بشير مفتي ، مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري ، الجزائر ، 2010 ، ص 59 .

- إسْماع أصوات الذاّت المقموعة و الانْغماس في قضايا الواقع والتباساتهوالعناية بالطّرائق الفنيةوالجمالية والنّزوع إلى التّجريب والوعي المتزايد بالكتابة من حيث هي مغامرة في ذاتها.

ومع بداية القرن الحادي و العشرين و مع التطورات الحاصلة بفعل العولمة والثورة التكنولوجية والإعلام المفتوح في الحقول المعرفية ومظاهر الحياة عموما ظهرت رواية جديدة بوصفها أوّلًا حتمية من حتميات التّطَوُّر التي تقتضيها سيرورة الحياة ، وبوصفها ثانيًا حداثة سردية جديدة تسعى إلى المغايرة عن السّائد المطروح ، مثل : كتابات (بشير مفتي و حميدة العياشي و أحلام مستغانمي ، مليكة مقدم ، ربيعة جلطي ...) ومع مجموعة من الأسماء البارزة في الحقل النّقدي مثل (السّعيد بوطاجين ، حبيب مونسي ، ابراهيم سعدي وعز الدين جلاوجي) ، وهنا يقتضي بالرّواية خاصّة على يد هؤلاء الذين يراقبون نصوصهم نقديًا أنْ تتمثّل النظريات السّردية الحداثية ، فتلامس بذلك حدود الجُرأة من حيث طرح الرّؤى وتوظيف التّقنيات مما يُؤَهّلها إلى الوقوف على عتبات العالمية[1] ".

ورغم تأخر ظهور الرّواية في السّاحة الأدبية الجزائرية مُقارنةً بنظيرتها في المشرقوالمغرب العربيين إلّا أنّها استطاعت مُنذ ظهورها الأوّل أنْ تقتحم السّاحة الأدبية بشكل قوي وحققت تراكُمًا مع نصوص لا تقلّ جودةً عن النّصوص المعروفة في السّاحة العربية والعالمية ممّا أهّلها أنْ تحتل مكانة مُهمّة في خارطة الإبداع الرّوائي وأنْ تُنْجز لمنجزها خصائص تميّزه عن غيره[2].

وبالتالي استطاع الروائيون الجزائريون أن يخلقوا مكانة هامة لأعمالهم داخل الجزائروخارجها ، خاصة رواياتهم الاجتماعية التي جسدت الواقع الجزائري فكانت محل دراسة وتحليل في عدة دول .

---

[1]– عبد الواحد رحال ، التجريب في النص الروائي الجزائري ، مخطوط رسالة دكتوراه ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، الجزائر ، 2014 /2015 ، ص 30 .

[2]– يُنظر: محمد الغزالي بن يطو ، منازع الكتابة و التجريب في الرواية الجزائرية ، مجلة اشكالات في اللغة و الأدب ، الجزائر، العدد 9 ، ماي 2016 ، ص45 .

3. الواقعية الاجْتماعية في الرّوايات الجزائرية:

لقد طرح الكُتّاب والباحثون عدّة تساؤلات تخصّ الإنتاج الأدبي والظّروف المُحيطة بالكاتب، من بينها: هل كانت الظّروف الاجتماعية للكاتب بمثابة السّبب الرئيس في نمو وتطوّر الإنتاج الأدبي ؟

إنّ مُعظم الأُدباء والكُتّاب قد نشأوا وترعرعوا في أحضان ظُروف قاسية ،ولم تسمح بأن تخصب إنتاجًا أدبيًا على عكس نظيرتها في المشرق والمغرب ، فقد أقرّ بعض الكُتاب أن الاستعمار هو الدّافع القوي والمُحَفّز الأوّل لتوْسيع المفاهيم والمُصطلحات ، وعملت على إخراج الأدب من بوتقة الضّعف والضحالة التي طبعت عليه أثناء الفترة الاستعمارية .

إنّ الوضع الثّقافي والسّياسي والاجْتماعي في الجزائر في عهد الاستعمار لم يكن مواتيًا لازدهار الثّقافة والأدب ، " إنّ الاستعمار رغم السّلبيات العديدة التي خلفها وراءه إلّا أنّ له جانبًا إيجابيًا ، فقد لوّن الأدب الجزائري وأعطى أبعادًا مُختلفة، فمن الواضح أن جُلّ الأُدباء والروائيين مثل شوقي ، وأبو العيد دودو في مجال الشّعر ، أمّا فيما يخص النّثر فنجد " الطّاهر وطّار" و"عبد الحميد بن هدّوقة " و" محمد مفلاح" وغيرهم ، تلك العوامل لم تسمح بموت المُؤَلّف كما ذكر ذلك بعض المؤلفين والمُفكرين[1] "

إنّ المذهب الواقعي هو الذي تَوافق مع رغبات الكُتّاب الجزائريين باعتباره مذهبًا يستقي مادّته من الواقع المُعاش، وبما أنّه كان واقعيًا ضيقًا ويحتاجفيه الفرد إلى التعبير عن نفسه والبوح بمشاكله ساعيًا لالتماس حلول لها. فقد استغله الكُتاب للتعبير عن أنفُسهم وعن أبناء مُجتمعهم، " إنّ الظّروف التي تلت الحرب العالمية الأولى هي التي فتحت المجال لظهورالمذهب الواقعي في الرواية الجزائرية[2]. " ومن المعروف لدى الدّارسين الذين تناولوا الرّواية الجزائرية بالدّراسة و التّحليل أنّ مواضيعها كانت تصب في فكرة واحدة ، و اختلفت طُرُق التعبير عنها و بتجسيد موضوعها في " حياة

[1]– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 56

[2]– المرجع نفسه ، ص 98 .

الإنسان في بيئة مُعينة وفي وضع اجتماعي مُعين ، وما يطبعه من بؤسأو رخاء، وعلاقته بالإنسان والأرض ،وموقفه من الأنظمة والقوانين الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأخيرًا في مشاعره وأحاسيسهوعواطفه أنّه واقعٌ يشمل مظاهر الوُجود الإنساني في مُجتمع مُعين[1] " إذ يُعدّ الواقع أوّل حلقة تُثير انْتباه الأديب خاصّة الحلقة الاجتماعية التي يُحاول فيها تحديد المشاكل الاجْتماعية ومُحاولة بيان أسبابها من أجل مُعالجتها ، فالحالة الاجتماعية تؤثّر على جميع الأصعدة الأُخرى . فيربط " عبد الله الركيبي نجاح الرّواية الجزائرية بالتّجربة الذّاتية للأديب ، وهو يقصد بأن يكون الكاتب مُعايشًا لما يكتبه حتى يُحس بعمله .

إنّ المُتأمّل للإنتاج الأدبي يرى أنّ الرّواية ظهرت وليدة المُجتمع لتأثُرها بالواقعية التي تطوّرت بشكل تدريجي بدءًا بالحياة الاجتماعية لتنتهي بالتيارات والاتجاهات المُختلفة والمُنبعثة من الغرب " ولقد ركزت الرّواية في مُنطلقاتها على الجانب الاجتماعي وأعطوه أولوية وعناية خاصّة ، وهذا ما تجلّى بوضوح في كتابات بعض الرّوائيين من خلال القضايا المُختلفة ، من بينها : " غادة أم القُرى " لأحمد رضا حوحو، ومرزاق بقطاش ، وغيرهما، حيث تجلّت معالم الواقعية في اتّجاه البعض منهم ، فقد نحوا منحًى إيديولوجيًا من خلال تصوير المشكلات الاجتماعية ، وجسّدت بأحداثها أبطالًا واقعيين مثّلت صُورًا من الحياة، عليها طالة البيئة والارتباط بالماضي ، والتّأمُل بالحاضر والمُستقبل أملًا منها بالتغييروالتقدم نحو الأفضل[2]"

لقد اقتربت الرّواية الجزائرية من المشاكل الاجتماعية بكلّ امتداداتها المُختلفة والبحث فنيًا في حُضورها السّياسي والاجتماعي ضمن أُفق السّرد الواقعي ، " قضايا الرواية العربية هي بشكل أو بآخر قضايا المجتمع العربي ، وإنها متعددة ومُتنوعة ومُتشعّبة تشعُب وتنوُّع وتعدُّد قضايا الإنسان في العصر الجديد عندما انتبه العربي إلى نفسه منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وجد نفسه مُحاطًا بأسئلة لا حصر لها حول ذاته ووجوده في علاقته بالعالم المُحيط به ، فكانت الدهشة

[1]– محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط2 ، 1984م،ص290.

[2]– أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 59.

والصُّدفة الكبرى بينه وبين الغرب من جهة ، وبينه و بين حاضره وماضيه من جهة أخرى[1] " .

لكلّ مُجتمع مشاكل حقيقية وأُخرى مُزيفة والأديب الواعي يُميز بإحساسه بين هذه المشاكل ، وهو لا يهتم إلا بالأساسية منها التي تؤثّر على مسيرة المُجتمع .

"تكبر قضايا المُجتمع الجزائري مع التطوُر ، التخلف ، الشيعية ، القمع وتُختزل كلُّها في إشكالية السّلطة السّياسية ، الحاكم ، الاجتماعية الطائفية ، الأعراف ، العادات والتقاليد ، إلى جانب الدّيمقراطية لحل مُشكلة السّلطة ، وتختلط القبيلة بالقوى الاجتماعية ، فإذا بالزّعيم إمام وبالرّئيس مجلس الشعب بصورة مُركبة لا وجود فيها للوطن والمواطن ، يختلط فيها الفردي بالاجتماعي وتكثر التمييزات ، وأخيرًا بدأ يشيع مُصطلح الطبقية والألوان الطّبقية وهذه الأطياف قابلة للتّوالد لأنّ كلّ طبقة يرى أصحابها أنّ لهم الحق في الوُجود مادامت هُناك أطباق وأطباق .. إنّها غير قابلة للحصر أو العد[2] " .

لا يُمكن للقضايا أو المشاكل أنْ تتعدّد وتتنوّع وتتشابك فتتّسع الهُوة بين مكونات الوجود وتصبح الحدود وتتوالد وتتواتر مع الزمان وتتّصل بصراع الفرد مع ذاته ومع محيطه ، فيكون الحلم تارة بالخلاص الفردي أو بالخلاص الجماعي حيث تشتد الصراعات مع الخارج ولا تبقى سوى المآزق التي تبدو بلا حلول وآفاق، فإذا التّشاؤُم اللّامحدود والتذمر الذي لا يتوقف[3] .

ومن خلال ما سبق ، نستنتج أنّ الرّواية الجزائرية قد تأثّرت بالمذهب الواقعي الذي يأخذ بعين الاعتبار الظُّروف المُحيطة بالأديب أو الرّوائي بلْ يُحدّد نجاح تجربته الرّوائية بمدى إحْساسه بعمله أو بمعايشته للتجربة التي يُعالجهاو بالتّالي يغلب على عمله الطّابع الاجْتماعي و تجوز تسميته رواية اجتماعية واقعية .

---

[1]– سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود و الحدود ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، الرباط ، 2012م ، ط1، ص 08 .

[2]– المرجع نفسه، ص 9 .

[3]– يُنظر : المرجع نفسه ، ص 10 .

الفَصْلالثّاني:
البُعْد الاجتماعي
فيروايـة الزّلزال

المبْحث الأوّل:

1. نبْذة عن الطّاهر وطّار:

وُلد الأديب الطّاهر وطّار في 15 أغسطس 1936م بدائرة سدراتة التّابعة لولاية سوق أهراس شرق الجزائر، وتعود أصوله إلى أسرة بربرية بالسفح الأوراسي، ويتحدث الطّاهر وطّار عن أُسرته فيقول إنّه " ورث عن جده الكرم و الأنفة، و ورث عن أبيه الزهدوالقناعة والتواضع، وورث عن أمّه الطّموح و الحساسية المرهفة[1] " .

وبعد أن حفظ ما تيسر من القرآن الكريم بمسقط رأسه ، التحق سنة 1950م بمدرسة جمعية العُلماء المُسلمين الجزائريين بمداوروش، وكان من طلابها المتفوقين الأوائل، وهذا ما جعله ينتقل إلى معهد الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة سنة 1952م لدراسة العلوم الشّرعية، وفي عام 1954م التحق بجامع الزيتونة بتونس .

وقد بدأ رحلته مع الكتابة وهو ما يزال في ريعان الشبابسنة 1953م ، ونشر أولى قصصه عام 1956م في جريدة الصباح التونسية، وأسهم مع نخبة من المثقفين بتونس في تأسيس أسبوعية النداء ، ونشر فيها العديد من القِصص، إضافة إلى عمل بجريدة لواء البرلمان التونسي ، وانضم سنة 1956م إلى حزب جبهة التحرير الوطني، وعمل عضوًا للجنة الوطنية للإعلام ، ثم مُراقبًا وطنيًا بالحزب نفسه، وبعد الاستقلال أسّس أسبوعية الأحرار بقسنطينة ، وهي أوّل أسبوعية تؤسّس بالجزائر المُستقلة ، إضافة إلى أسبوعيتي الجماهير سنة 1963م والشعب الثقافي سنة 1973م وذلك بعد انتقاله إلى الجزائر العاصمة، وقد ظلّ مُناضلًا في حزب جبهة التّحرير الوطني إلى غاية سنة1984م.

وفي سنة 1991م شغل منصب المدير العام للإذاعة الجزائرية فبذل جهودًا كبيرةً في سبيل ترقية اللُّغَة العربية .

[1]– مجلة القاريء للدّراسات الأدبية والنّقدية واللّغوية، المُجّلد 04، العدد 04، ديسمبر 2021م، ص 671

أهمّ أعماله (مؤلفاته):

من أهم أعماله الروائية : نذكر رواية اللّاز(الجزائر 1974م ، بيروت 82 و 83 ، الجزائر 1981م و 2005م) / ورواية الزّلزال (بيروت 1974م ، الجزائر 1981 و 2005) / الحوّات والقصر (الجزائر جريدة الشعب 1974م، وعلى حساب المؤلف في 1978م القاهرة 1987والجزائر 2005) ، عرس بغل(بيروت عدة طبعات بدءا من 1983 القاهرة 1988 الجزائر 1981 و 2005) / العشق والموت في زمن الحراشي (بيروت 1982 و 1983 الجزائر 2005) / تجربة في العشق (بيروت 1989 ، الجزائر 1989 ، و 2005) / الشّمعة والدّهاليز / الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي / الولي الطّاهر يرفع يديه بالدعاء.

ومن أعماله المسرحية نذكر: (على الضفة الأخرى) و (الهارب)[1]

كما كتب العديد من المجموعات القصصية من بينها : (الشهداء يعودون هذا الأسبوع) و(دخان من قلبي) و(الطعنات) وقد حُولت قصة (نوة)من مجموعة (دخان من قلبي) إلى فيلم من إنتاج التلفزة الجزائرية . وقد نال عدة جوائز، وحولت قصة (الشهداء يعودون هذا الأسبوع) إلى مسرحية نالت الجائزة الأولى لمهرجان قرطاج الدولي ، كما أُنجزت حول أعماله الأدبية الكثير من الدراسات الجامعية في مختلف الجامعات العربية و الغربية ، وترجمت رواياته لأكثر من عشر لغات وقد صدرت مذكراته سنة 2006م تحت عنوان أراه ..

نظرًا لإنجازاتهكُرّم الطّاهر وطّار عدّة مرّات في الجزائر من قبل مجموعة من المؤسسات الوطنية من بينها: المكتبة الوطنية الجزائرية والمجلس الأعلى للغة العربية و مؤسسة ثقافة و فنون، و حصل على عدد من الجوائزحيث نال الجائزة الأدبية الأولى في أواخر السبعينيات مناصفة مع المفكر الراحل عبد الله شريط[2].

إضافة إلى تكريمه مرات عديدة عربيا حيث اختير شخصية العام الثقافية بمهرجان القرين بالكويت في دورته السادسة سنة 1999م و في سنة 2005م حصل

---

[1]– ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، مقال في الانترنت ، اطلع عليه يوم 22/نوفمبر/2022م ، بتصرف

[2]– عبد العزيز غرمول ، حوار مع الأديب الطاهر وطار ، مجلة الحياة الثقافية ، العدد 32 ، سبتمبر 1984م ، ص 277

على جائزة الشارقة لخدمة الثقافة العربية و توج بجائزة سلطان بن علي العويس في دورتها الحادية عشر 2009/2008، فرع القصة و الرواية و المسرحية ، و قد حالت وضعيته الصحية المتردية دون ذهابه إلى دبي لاستلامها و توفي بعدها بفترة وجيزة يوم الخميس 12/أوت /2010 عن عمر ناهز 74 عاما بعد صراع طويل مع المرض[1].

توفي هذا الأديب المُميز لكن اسمه لم يرحل ، بل خلده التاريخ من بعده ، كيف لا و هو من الروائيين الذين طالما دافعوا عن اللغة العربية و سعوا في سبيل تطويرها و الرقي بها، كما أن أعماله كانت محل اهتمام و دراسة و تحليل من قبل عدة دارسين.

2. العالَم الرّوائي للطّاهر وطّار:

يُجمع أغلب الدارسين على أن الأديب الراحل الطاهر وطارهو مُؤسّس الرّواية العربية في الجزائر فقد فرضت أعماله حضورها بقوة في الجزائر ، أو في شتى أقطار الوطن العربي، فالطّاهر وطّار هو الذي أوصل صوت الرّواية الجزائرية إلى مُختلف أصقاع الوطن العربي وهو الذي عرفهم بتحولات المجتمع الجزائري .

وقد أجمل إدريس بوديبة السمات الأساسية التي ميزت المسار الروائي للأديب الطاهر وطار ، والأسباب الرئيسية التي جعلته يتبوأ مكانة مرموقة ، ويصبح أحد أهم الأسماء الأدبية في الرواية الجزائرية والعربية في جملة من النّقاط أهمها :

- قدرة وطّار على الاستمرار في المُمارسة الإبداعية ، بطريقة شبه منتظمة، ليحتل بذلك الصّدارة من النّاحية الكمية والنوعية ، ويتقدم كلّ الرّوائيين الجزائريين الذين يكتبون بالعربية .
- يتمتع وطّار بهاجس المُغامرة الفنية ، وتطويره المُستمر لأدواته ، والقدرة على تنويع بنيته الروائية ، والانتقال من شكل لآخر بسهولة ، مع الوفاء لموقفه الفكري العام ، الذي يدعم رؤيته الشاملة لقضايا الكون و الإنسان و الحياة .

[1]– مجلة القاريء للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية ، ص 672.

- تتدرج أعماله في سياقاتها المختلفة ، لتؤرخ لكلّ التحوّلات و السّيرورات الحاصلة في المُجتمع الجزائري ، منذ الثّورة المُسَلّحة إلى الاستقلال ، مع التّركيز على الألوان المَحلية للجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية ،وكأنّ الطّاهر وطّار أراد أن يكتب – روائيا – ملحمة الجزائر ، ويحمل على عاتقه هذه المهمة التي لا تخلو من انحيازات ذاتية واضحة ، ولكنها انحيازات مشروعة إبداعيا ، فمن واجب الأديب أن يعيد صياغة العالموتشكيله وفق وعيه ورُؤيته الخاصة .
- إنّ روايات وطّار كانت دائمًا مصدر افتتان وغواية ، في موضوعاتها بالنّسبة لعدد كبير من الرّوائيين الذين أعادوا صياغتها وفق منظوراتهم الفكرية والفنية المُختلفة ، ويعود هذا لقدرة هذه الرّوايات على استقطاب الأحداث الاجتماعية وامتلاكها للوعي بالواقع والكشف عن نوعية العلاقات التي تتحكم في سيره وبلوغها درجةً عاليةً من النّمذجة والانسجام[1].

و حسب منظور الباحث فالإغراءات الأيديولوجية والفنية التي قدمتها مدرسة (الواقعية الاشتراكية) لوطّار كانت السّبب الرئيس الذي صبغ أعماله بالحركة التلقائية والرؤية الشمولية ، وهي التي منحته المقدرة على إدراك العلاقة الجدلية التي تربط الفرد وأفكاره وعواطفه بالحياة وصراعات المجتمع ، وذلك دون السّقوط في الخطابات التبشيرية المُسطّحة التي تلتزم تمجيد البطل الإيجابي الذي يؤثر في الواقع ، و يغيره إلى ما هو أفضل باعتباره نموذجا لبطل المستقبل[2] .

فقد كان مذهب الطّاهروطّار واقعيا اجتماعيا ، لطالما وصف ورصد قضايا مُجتمعه في أغلب أعماله الروائية.

---

[1]–يُنظر: إدريس بودبية ، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، د ط ، 2007، بتصرف.

[2]–يُنظر : بوخليفة بوسعد ، أطروحة دكتوراه ، تلقي رواية الزلزال للطاهر وطار في المشهد النقدي و اللغوي ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية ، الجزائر ، 2020

وإذا أردنا الغوص أكثر في تجربة الطّاهر وطّار الرّوائية نجدها تحمل أبعادًا إنسانيةً جليلة، ونراه مُتأثّرًا بالفكر الواقعي إذ " تميزت المرحلة الأولى لكتابات الطّاهروطّار بانتشار الفكر الواقعي في الأدب الجزائري ، بكل أبعادها الإنسانية وهذا ما أثّر وأسهم في تعميق التّفاعل الإيجابي بين الإبداع الروائي والمحيط الخارجي ، ليتطور بعد ذلك النّقد الجمالي من مُنطلق جدلي وكأنّ الخارج نصي بكل تناقضاته وصراعاته هو الذي يحقق المتعة الجمالية، وبالتّالي كلّ ما هو جمالي إيديولوجي[1].

كما يُعرف عن الطّاهر وطّار في كتابات توظيف الخطاب التاريخي التوثيقي، وذلك لأهداف دلالية وأسلوبية لغوية كثيرة فهو لا ينسخه بل يعيد قراءته من خلال استحضار مجموعة من الشخصيات التاريخية التي عاشت مواقف جد مؤثرة ومثالنا على هذا الاستعمال قول السّارد في تعليقه على ما قرأه في المجلات التاريخية الرسمية " أيها التاريخ لست سوى ما يكتبه الأعداء المُنتصرون عن الخصوم المنهزمين[2] " .

كما تتميز الكتابة الرّوائية عند الطّاهر وطّار بتوظيفه لما يُسمّى بالأجواء الصّوفية و خطاب المقامات ، حيث واصل الطّاهر وطّار عملية استقراء الحلول قبل نهاية العُشرية السّوداء ، بُغية حقن دماء الجزائريين فيستعين بالولي الطّاهر الذي يعتقد أنّ الحلّ لأزمة الجزائر يتوافر في عوالم التّطهير وصفاء النفوس هي للكرامات التي يمتلكها الولي الطّاهر .

و" الملاحظ أنّ الطّاهر وطّار بدأ يستغني عن مثل هذه الأجواء والخطابات وتفسير ذلك ربما يعود إلى تغير الظروف الأمنية وتعدُّد القناعات الإيديولوجية في المجتمع الجزائري، وبخاصة في نصه الولي الطّاهر يرفع يديه بالدعاءوقصيدة في التذلل، حيث انشغل الكاتب بقضايا أخرى وكأنّ تحذيرات الولي الطّاهر أخذت طريقها الممارسة

[1]– نورة بعيو ، مجلة الأثر عدد خاص ، أشغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب ، الخطاب الروائي عند الطاهر وطار ، روايات الطاهر وطار بين الأدلجة و حداثة الكتابة ، جامعة تيزي وزو(الجزائر) ، 2011، ص 112

[2]– الطّاهر وطّار ، عرس بغل ، دار ابن رشد ، بيروت ، ط 1 ، 1978، ص 100

،ونضيف إلى هذا الملمح الحداثي في كتابات وطّار المرتبط بظاهرة التناص ظاهرة أخرى نوّع فيها كثيرًا و خاصة في أعماله المُتأخرة[1] " .

وبهذا نستنتج أنّ العالم الرّوائي للطّاهر وطّار حافل بالتّجارب الفنية الفذّة الجديرة بالدّراسة والاهتمام بفضل أسلوبه الراقي ومضامينه المستوحاة من الواقع كونه متأثرًا بالواقعية الاشتراكية ، فقد جذبت أعماله اهتمام كبار النقاد والأدباء.

3. أثر التّحوُّلات الاجتماعية في روايات الطّاهر وطّار :

إنّ الرّواية الجزائرية هي أكثر الأجناس الأدبية ارتباطًا بالمُجتمع ، فالرّوائي ينهل من بيئته ومن الواقع الأحداث ذات الدّلالات الاجتماعية اليومية ويغوص في أعماقها للكشف عمّا تخفيه وراءها من خلال خلق وتجسيد حياة جديدة على الورق .

إنّ فترة السبعينيات هي المرحلة الفعلية التي شهدت القفزة الحقيقية للنّهوض الرّوائي الفني في الجزائر مع روايتَي (ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة) و(رواية اللّاز للطّاهر وطّار) وخاصة هذا الأخير ، " فمنذ أن ظهرت أعمال الطّاهر وطّار بدأ النُّقّاد في الجزائروالمشرق ينظرون بجدية إلى عناصر التّفوق والتّفَرُّد التي طبعت أعمال هذا الرّوائي[2] "

فهيمنت بذلك الرّواية الجزائرية على غيرها من الأجناس الأدبية ،ونالت الصّدارة في البُحوث النّقدية ، حيث عبّر الروائيون عن واقعهم بكل تفاصيله وتعقيداته سواء بالعودة إلى الثورة التحريرية أو الحديث عن التغييرات التي طرأت على المجتمع الجزائري بعد الاستقلال خاصة الحياة السّياسية والاقتصادية والثقافية .

وقد عالجت روايات الطّاهر وطّار قضايا المُجتمع من خلال شخصيات تختلف اتّجاهاتها وتتفرع تجاربها وتتصادم أهواؤها ومواقفها ، وقد حاول هذا الرّوائي أن يطرح جُملة من الاشكالات المُتعلقة بواقعه النفسي والفكري والاجتماعي بواسطة شخصياته ومواضيعه الرّوائية .

---

[1]– مجلة القاريء للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية ، ص 270 بتصرف.

[2]– إدريس بودبية ، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، دط، 2007 ، ص 40.

كما يُجمع أغلب الدّارسين على أنّ مرحلة السبعينيات تُعدّ المرحلة الفعلية التي عرفت قفزة حقيقية للنّهوض الرّوائي ، حيث إنّها مرحلة تأصيل الرّواية الجزائرية "و ممّا لا يشوبه ريبٌ أنّ الكتابة الرّوائية خلال تلك الفترة سجّلت شجاعة في طُروحاتها الفكرية و مُغامراتها الفنية؛ لأنّ الكاتب أضحى ينطلق من رؤًى تعبيرية مُتحرّرة لا يردعها الواقع السّياسي الاستعماري[1]".

وإذا ما حدّدنا زمانيًا هذه المرحلة فهي تُحدَّد في فترة السبعينيات من القرن الماضي والتي تزامنت مع الثورة الزّراعية وتنامي الفكر الماركسي الاشتراكي في الجزائر ما جعل الطّاهر وطّار يكتب في خضمه" باعتباره من مؤيدي هذا المذهب وأحد كتابه[2] " .

فقد اهتم الطّاهر وطّار بالمكون الإنساني والاجتماعي المليء بالنقائض و التغيرات باحثًا عن طرائق تجاوزه كإيقاظ الضّمير الجمعي لأنّ التّغيير إلى ما هو أفضل هو حلم الجماعات الكادحة والمحرومة في المجتمع فهذا الاهتمام دفع بوطّار إلى اسْتثمار بعض التقنيات الرّوائية لخدمة المنْظور الإيديولوجي ، كالشّخصية الحكائية التي تعود قيمتها الفنية إلى موقعها التّاريخي الاجتماعي .

كما أكّد ذلك النّاقد الرّوائي واسيني الأعرج ، بلْ إنّ وطّار يقولب مختلف شخصياته ضمن مبادئ الواقعية الاشتراكية ليحقق جمالياتها . ففي بعض رواياته " يجعل الشخصية المحورية تتحمل كل أعباء وهموم الجماعة (الشعب الجزائري) عندما يصور بعمق وبقدرة فنية فائقة مختلف العلاقات القائمة بين الشخصيةوالمُجتمع[3] " .

وعليه فإنّ تجربة الكتابة تختزل في قدرته على رصد المضامين الاجتماعية بكلّ صراعاتها وسلبياتها وفق منظور الواقعية الاشتراكية وخصوصًا في فترة هيمنة الحزب الواحد .

---

[1]– مجلة القاريء للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية، ص 669.

[2]– واسيني الأعرج، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، ص 41 ، بتصرف.

[3]– المرجع نفسه ، ص 41 .

" فالرّوائيون الجزائريون في هذه المرحلة كانوا على الصّعيد الإيديولوجي أبناء عصرهم في الغالب يساريين مُشبّعين بقيم الفكر الاشتراكي ، التي لم تكن ملكا للمبدع وكان يوظفها في خطابه السردي الموجه للمجتمع[1] " .

وللكشف عن رؤية الطّاهر وطّار من خلال أعماله الرّوائية يمكن العودة إلى المرحلة التي أبدعت فيها بداية التسعينات أي من اللاز إلى الزلزال و الحوات والقصر وصولًا إلى عُرس بغل .

ومع أواخر الثّمانينات ومع إبداع الطّاهر وطّار لروايته الموسومة بتجربة العشق التي حاول فيها يمارس نوعًا من الكتابة تعتمد على المونولوج كقناة لإرسال خطاب معين والتعبير عن رؤية تختص بالراوي ، وكأن الطّاهر وطّار يدرك أنّ الراهن الجزائري ولاسيما بعد أحداث 5 أكتوبر 1988م لم يعد يفرّق بين الحقيقة والوهم وبين الخطأ والصّواب ، لذلك نجده عاشقًا من نوع مُغاير على صعيد الحب والإبداع و كذلك الكتابة[2].

و لعلّ هذا الأخير السّبب وراء صعوبة الفهم والإلمام بكلّ خيوط الرّواية وأحداثها المتشابكة التي ميزت هذه الرواية .

أمّا بالنّسبة لثُلاثية (الشّمعة والدّهاليز) و(الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكي) و(الولي الطّاهر يرفع يديه بالدّعاء) فالقارئ يكتشف العلاقة الوطيدة بين الأعمال الثلاث أنّ التوجه الإيديولوجي للطّاهر وّطاريصبّ في الإطار نفسه هو القراءة النّقدية للرّاهن المحلي والإنساني : العُشرية السّوداء بهدف تعريته وتغييره.

وإذا توقّفنا عند التقنيات التي اعتمدها الرّوائي من أجل إيصال خطابه فإنّه يمكن القول إنّها تندرج في الخط الحداثي الذي حاول أن يجد ملامح شعرية خاصة بإبداع الروائي الجزائري المعاصر[3].

---

[1]– لطيفة قرور ، هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار ، الشمعة و الدهاليز ، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ، الولي الطار يرفع يديه بالدعاء، بث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري المعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة 2010، ص 107، 108 .

[2]– يُنظر : نورة بعيو ، روايات الطاهر وطار بين قيود الأدلجة و حداثة الكتابة ، ص 114.

[3]– ينظر: المرجع نفسه ، ص 115.

والمقصود من هذا هو كتابة رواية جزائرية حقيقية أي إيجاد شكل يحقق محليتها وطنيًا ومغاربيًا على الأقل بتوظيف كل المكونات المرتبطة بالجنس الروائي.

المبْحث الثّاني:

1. مُلَخّص رواية الزّلزال :

حاول الرّوائي الطّاهر وطّار من خلال روايته الزّلزال أنْ يُجسّد التّحوّلات الزّراعية التي حدثت في الجزائر في فترة السّبعينيات من القرن الماضي ، " لا بالشكل السّياسي التهريجي المباشر لكن بكلّ ما يُمكنه أنْ يمنحه ما يسمى بالفنّ الاشتراكي من إمكانيات فنية للتعبير والإبداع والتي تسهم في جوهرها في الكشف عن خلفية كل الصّراعات الدّائرة على الساحة الوطنية فالطّاهر وطّار حاول من خلال روايته الزّلزال أنْ يستوعب واقعه المتحرك بكل تناقضاته الثانوية والجوهرية[1] ".

تدور وقائع الزّلزال في الجزائر وبالتّحديد بمدينة قسنطينة في ظرف زمني مُحدد، وهي بهذا تخرج إلى حد ما عن التعاريف التقليدية للرّواية العالمية ،و" تحاول أن تؤسّس لتعريف خاص بها يلتقي في الكثير من جوانبه مع تعريفات القصة القصيرة من حيث المادة الجمالية[2] " وذلك من خلال شخصية محورية ألاوهي شخصية بولرواح عبد المجيد ، يتفرغ عالم الرّواية مع الشخصيات الثانوية الأخرى عبر الحدث الروائي في شكله العام والكامل.

في رواية الزّلزال استطاع الكاتب أنْ يرسم شخصية بوالأرواح من خلال الراوي ، وذلك عبر حركتها وفعلها وصراعها مع ذاتها أو غيرها ، راصدًا نُموها من خلال الأحداث والوقائع فقدم بذلك الراوي شخصية حية في حركتها وتجوالها وردود أفعالها .

لقد أحسن الروائي في تصوير الحالة النفسية لبوالأرواح من خلال قوله " تذاوبت المادة السائلة فجأة في داخله ، شعر بالثقل يشده إلى الأرض و بالانتفاخ في قلبه يقطع أنفاسه ، و بمطارق ضخمة تهوي على جمجمته ، سال العرق من كامل بدنه ، اصفر وجهه ازرورق اخضر ، تنهد من أعماقه[3] " .

---

[1]– واسيني الأعرج ، الطاهر وطار، تجربة الكتابة الواقعية ، ص 79.

[2]– المرجع نفسه ، ص 79 ، بتصرف.

[3]– الطاهر وطار ، الزلزال ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية الجزائر ، 2007م، ص 132.

إنّ السّارد من خلال إيراده هذا المقطع يُحاول من خلاله أنْ يُبيّن الضّغط النّفسي الذي يوحي بالظّروف الصّعبة التي يمر بها بوالأرواح ، إضافة إلى حرارة الصيف، وقد اكتفى الراوي بتصوير الحالة النفسية لبوالأرواح وتقديمها للقاريء أكثر من حرصه على تصوير الجانب الخارجي لهذه الشّخصية.

يقول إدريس بودیبة " تأخذ رواية الزّلزال سيرة بطل مُضاد مشحون بالمُناكدات النّفسية المريرة ، فرغم امتلاكه الأرض والمال ، فإنّ لحظات السّعادة تبدو باهتةً في حياته ، وها هو الآن يدافع عن أنفاسه الأخيرة أمام المُتغيرات الاجتماعية الطارئة التي هزت طبقته[1] ".

إنّها روايةٌ تصف حقبة ما بعد الاستقلال والمرحلة التي خلفها الاستعمار ، وترك الجزائر تلملم جراحها ، مرحلة حاسمة فقد فيها الشعب ثقته بحكومته التي وقفت عاجزة أمام طموحات جيل ما بعد الاستقلال ، دمار رآه بولرواح وفوضى أثرت على عقله وكادت تصيبه التغييرات التي وجدها في أهله و بلده بالجنون ، أو هي تغييرات زلزلت روحه وعقله حتى حاول الانتحار .

2. مفهوم البُعدالاجتماعي :

تعريف البُعد لُغةً : ورد في قاموس (لسان العرب) لابن منظور : البُعد : خلاف القرب ، بعُد الرجل بالضم ، و بعد بالكسر ، بُعدا ، فهو بعيد ،و بعاد . عن سيبويه : أي تباعد وجمعها بُعداء ، وافق الذين يقولون فعيل الذين يقولون فُعال لأنهما أُختان وقد قيل بُعد .

وفي الصحاح البعد بالتحريك جمع باعد ، مثل خادم ، وخدم ، وأبعده وغيرهوباعده بُعدا وتبعيدا ، ومنه قول امرؤ القيس :فعُدت له وصحبتي بين ضارج وبين العُذيب بعدما متأمل[2].

---

[1]– إدريس بودیبة ، الرؤية و البنية في روايات الطاهروطار ، ص 176

[2]– ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، طه ذُر ، مجلد 2 ، مادة ب ع د ، ص 112

وورد تعريفه أيضًا في قاموس اللّغة كتاب المصباح المُنير : بعُد الشّيء بالضم بُعدًا فهو بعيد فيقال : بعدت به و أبعدته وتباعد مثل بعدو بعدت بينهم تبعيدًا وباعدت مُباعدةً .

الاجتماع في التّعريف اللّغوي : ورد في قاموس المنجد في اللغة العربية المعاصرة أن اجتماعي منسوب إلى الاجتماع ، حياة اجتماعية ، الخاص بالمجتمع ومراتبه المختلفة ، النظام الاجتماعي ، الطبقات الاجتماعية : الذي يعيش في المجتمع أو قابل للعيش في نظام الجماعة ، الإنسان كائن اجتماعي : الذي له علاقة بتوزيع الأفراد في المجتمع من حيث تقسيم العمل و نتائجه.

عدالة اجتماعية : خاص بخدمة المجتمع.

اصلاحات اجتماعية : مساعدة اجتماعية.

الذي يُكون مُجتمعًا أو أحد عناصر الأسرة عنصر اجتماعي ، ج : اجتماعيون : يختلط بالناس ويأنس بهم[1].

ورد في موسوع مصطلحات ابن خلدون و الشريف علي محمد الجرجاني على أن الاجتماع لابد من اجتماع القدرة الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل على القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف

والاجتماع إذا حصل للبشر و تم عمران العالم بهم ، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما في طباعهم الحيوانية من العدوانو الظلم[2].

ونستخلص من هذا أن الاجتماع هو تعبير عن حالة المُجتمع وانتمائه الطبقيوكيفية تكوين المجتمع.

الاجتماع في المفهوم الاصطلاحي :

لقد ارتبطت كلمة وعبارة اجتماع بعلم الاجتماع الذي أدى إلى اختلاف كبير بين العُلماء والفلاسفة المُشتغلين في مجال العلوم والطبيعة الإنسانية حول تحديد

---

[1]– يُنظر: صبحي حمودي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ص 219.

[2]– يُنظر: رفيق العجم ، موسوعات مصطلحات ابن خلدون و الشريف علي محمد الجرجاني ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان، ط1،2003، ص2،3

مفهومه وماهيته: فلقد ورد في كتاب أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته أنه " إنتاج كم مترابط من المعرفة يمكننا من زيادة قدرتنا على تفسير الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بها و فهمها[1] " .

وورد أيضا في كتاب المدخل إلى علم الاجتماع أن علم الاجتماع : هو ذلك العلم الذي يدرس الطبيعة الإنسانية للمجتمع و أساليب الحفاظ على تركيبته الثقافية والسياسية ويقصد به آخرون ذلك العلم الذي يُعنى بدراسة الأفراد والجماعاتوالمؤسسات التي تشكل المجتمع البشري ، ويُشير إليه البعض بصفته العلم الذي يهتم بدراسة خصائص الجماعات البشرية والتفاعلات المُختلفة والعلاقات بين أفراد هذه الجماعات ويُعدّ(أوغست كونت) من أهمّ الباحثين في علم الاجتماع و يعدّ المُؤَسّس الغربي له ، إلّا أنّ الكثير من العرب يعتبرون ابن خلدون وملاحظاته الذّكية في طابع علم العمران[2].

ويتضح مما سبق أن علم الاجتماع هو العلم الذي يُعنى بدراسة المُجتمع والعلاقات البشرية القائمة بين أفراده،ويصل إلى مرحلة الفهم والتفسير إلى التّنبؤ.

ونخلص إلى أن التّعريف الاصطلاحي للاجتماع لا يخرج عن نطاق دراسة وفهم الأفراد والمُجتمعات البشرية وأهم السلوكيات والعلاقات التي تربط بينهم .

3. البُعد الاجتماعي في رواية الزّلزال:

تمرّ الجزائر اليوم بمرحلة انتقالية حاسمة ، تغيّرت فيها كل المفاهيم العتيقة التي لم تعد تصلح، لعبت ومازالت تلعب الثورات الثلاث دورًا كبيرًا في تغيير المُجتمع الجزائري، وكانت مُساهمة الشّعب في هذه الثّورات جدّ فعّالة إذْ خرج آلاف الشّباب المتطوعين إلى الأرياف لمُساعدة الفلّاحين في فهم الثّورة الزّراعية و كيفية إنجاحها ، إذْ شاركت كلّ فئات الشّعب الواعية في إنجاح هذه الثّورات ، فكيف لا يشارك الأديب

---

[1]– عبد الله عامر الهمالي ، أسلوب البحث الاجتماعي و تقنياته ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ط2، 2003، ص 17 ص 18 .

[2]– يُنظر : هشام مريزيق ، المدخل إلى علم الاجتماع ، دار الراية للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008، ص 23 .

بقلمه في تدعيمها ، عن القول الحكيم في هذا المضمار الجدير بالملاحظة " إذا رأيت أدبًا فاعلم أنّ وراءه حضارة[1] ".

فتساءل كيف لا تهز كل هذه التغيرات كيان الأدباء الجزائريين ليضمّوا صوتهم إليها ، هذا ما بدأنا نلاحظه في الجزائر الشابة خاصةً من بداية السبعينيات ، حيث نهضت أقلام تعبر ، كل حسب نظرياته الأدبية عن كل ما يحدث من جديد في مجتمعنا ، لو تصفحنا الجرائد والمجلات ، لبدت لنا كمية القصص والأشعار والمقالات الأدبية التي تتكلم عن هذا الواقع و ما يمتاز به و أهم التناقُضات التي يتخبط فيها واضحة ، وكلّ هذه الأعمال الأدبية الشابة أخذت تقريبًا نفس الاتجاه ألا وهي الواقعية الاشتراكية ، في هذه الصّفحات نتكلم عن نموذج برز مع هذه التغيُرات صدر عن كاتب له تجربة ناضجة في ميدان الكتابة وكذلك في الميدان النضالي أثناء حرب التحرير وأثناء فترة الاستقلال ، هذا النّموذج هو رواية "الزّلزال" للطّاهر وطّار .

تتكلّم الرّواية عن إقطاعي يُحاول أن يُدافع عن آخر أنفاسه ، أمام الزحف السريع لمفاهيم جديدة ، يُحاول إنقاذ أراضيه بتوزيعها على أفراد عائلته الذين لم يتذكرهم يومًا ولم يُنفق عليهم شيئا من ثرواته التي لا تُعدّ بالنسبة لفقرهم .

يوضح المؤلف في المُقدمة التي كتبها للرّواية : الصّراع بين مفهوم جديد ومفهوم قديم، حين يقول : " إنّني لا أُقَدّم نفسي، بقدر ما أُقَدّم فنّي، كنتاج لعوامل حضارية مختلفة فما أنا إلّا واحد من مائة مليون عربي، لا قيمة كبرى لوُجودي كإنسان، يصارع عقليتين متناقضتين، عقلية القرون الوُسطى التعميمية التجريدية وعقلية القرن الواحد والعشرين العلمية التكنولوجية[2] . "

سنُحاول تسليط الضوء على أهم الحوادث الاجتماعية الموجودة في الرّواية وفق فصولها وأبوابها كُلٌ على حدا :

---

[1]- راجع البحث عن النقد الأدبي الجديد ، ط1 / 84 ، دار الحديث بيروت.

[2]- الطاهر وطار ، الزلزال ، كلمة المُؤلف ، ص 5 .

1. باب القنطرة :

تبدأ الرّواية بوصول الشيخ بوالأرواح إلى مدينة قسنطينة ، تجري الأحداث على شكل وصف خارجي للشوارع والأزقة التي يمر فيها بوالارواح وعلى شكل مونولوجات لتكشف لنا عن نفسية البطل الوحيد لهذه الرواية ، " لا يُعطي لنا الروائي أية معلومات مُسبقة ، بل يترك المجال للوقت والمُناسبات لكي تُدلي لنا بكل ما يحتاجه سياق الرواية[1] "

في البداية لا تعرف أي شيء عن شخصية بوالارواح ، ولا عمّا جاء يفعل في قسنطينة ، يظهر لنا كل شيء تدريجيا مع أحداث الرواية ، إمّا من خلال تصرفاته ، أو مونولوجاته التي يُجريها خلال تجواله في شوارع قسنطينة .

" إنها طريقة حديثة في كتابة الرّواية ، إذ نجد الأبطال هم الذين يقدمون أنفسهم دون أن يتدخل الكاتب إلا في أحيان نادرة[2] "

من السطور الأولى ندرك أن البطل جاء من العاصمة ولا نتجول كثيرًا في القراءة حتى تظهر لنا ملامح شخصية بورجوازية دينية ، تنظر باحتقار إلى الشعب الذي كثُر عدده في المدينة ، وهنا ربما إشارة إلى ظاهرة النزوح الريفي ما تسبب في أزمة سكن و أزمة مرور وإنعدام النظافة .

" لا حول ولا قوة إلا بالله ، ما الذي يدفع الناس حتى يرتجلوا مشيتهم بهذا الشكل في المدينة، لم أصل بالسيارة إلى هنا إلا بعد أن كدتُ أهجرها وسط الشارع خشية أن يعمروها كالذُباب، كأنّهم في يوم الحشر[3] ".

تكشف لنا شخصية دينية ، من الذين عاشوا فترة ابن باديس وتتلمذوا عليه وعلى شيوخ الزيتونة ، " إنه من أولئك الأثرياء منذ عهد الاستعمار ، ونجده يتحسر

[1]– علي ملاحي ، هكذا تكلم الطاهر وطار ، مقامات نقدية و حوارات مُختارة ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع (دط)، 2011م، الجزائر ، ص 337

[2]– المرجع نفسه ، ص 337

[3]– الطاهر وطار ، الزلزال ، ص 11

بألموشوق إلى هذه الفترة الهادئة – بالنسبة لأمثاله – حيث كان هو وأصدقاؤه الباشاوات والأغوات يعيشون في ثراء وحدهم من المعمرين دون إزعاج[1] ".

" لا الحق ، الحق .. المدينة انقلبت رأسًا على عقب ، زمن الفرنسيين ، كانت هادئة ، هادئة بشكل ملفت للنظر ، تدب الحياة فيها مع مطلع النهار ، رويدًا رويدًا ، وتزدهر بين العاشرة ومنتصف النهار، ثم تخفت فجأة ، حتى الساعة الثالثة لتستأنف تصاعدها حتى تشتد بين الخامسة والتاسعة عندما يُغادر التلاميذ المدارس والثانويات والمعاهد و تتألق الأنوار ، وتنطلق العطور ، من الغانيات الأوروبيات والإسرائيليات اللائي يملأن الشوارع كالحوريات بهجة وحبورًا[2] ".

تتكرر هذه الحسرة والشوق إلى الماضي القريب في كل فصل ، حيث تجري مقارنة داخل كيانه بين ما كانت عليه قسنطينة في عهد الاستعمار وما هي عليه اليوم ، ليس هو وحده الذي يتحسر على الماضي بل أولئك الحضريون في المدينة إذ نجد كلام أحدهم يؤيد اتجاه بو الأرواح " ضاقت المدينة يا ربي سيدي ، ضاقت ، خمسمائة ألف ساكن ، عوض مائة وخمسين ألفًا ، في عهد الاستعمار نصف مليون يا ربي سيدي ، نصف مليون برمته ، وبطمه وطميمه ، فوق هذه الصخرة ، تركوا قُراهم وبواديهم، واقتحموا المدينة ، يملأونها حتى لم يبق فيها مُتنفس ، حتى الهوا امتصوه ، ولم يتركوا في الجو إلا رائحة آباطهم[3] ".

هذه النظرة الاشمئزازية تدل على ضيق الطبقة البرجوازية الإقطاعية ، على التعايش مع باقي الجماهير الكادحة التي بدأت تترك معنى الحرية والحياة المتحضرة والعدالة الاجتماعية . لم تعد لدى بوالارواح قدرة التكيف مع المدينة الجديدة . لا يستطيع العيش فيها بل لم يعد يذكر حتى الأماكن التي عاش فيها لمدة طويلة ، لم يعد صالحا لهذا الزمان ، الذي ليس فيه مكان للأفكار القديمة من الإقطاعية الدينية والرّأسمالية بين الأفكار الكادحة من العمال والفلاحين والشّباب .

---

[1]– علي ملاحي ، هكذا تكلم الطاهر وطار ، ص 337.

[2]– الطاهر وطار ، الزلزال ، ص 12.

[3]– المصدر نفسه ، ص 12.

تُكشف رُويدًا رُويدًا عقلية بوالارواح من خلال تصرُفاته ويتضح الجانب الإقطاعي فيها وخاصةً في مُعاملته مع المُتسولين والمُتسولات عند باب الجامع الكبير .
من خلال تتبُعنا للأحداث نشعر وكأننا نتجول في شوارع قسنطينة المُزدحمة بالمُشاة والسيارات والعربات المُتجولة والبنايات والمطاعم والمقاهي وحوانيت المواد الغذائية وحوانيت الحلويات والشواء والخُضر وغيرها ... يصفها وطار وصفًا دقيقًا سواء من خلال شخصية بو الارواح أو من خلال كلامه هو كراو للأحداث . يركز على وصف الأحياء الشعبية المُكتظة التي لا مكان فيها لأمثال بوالارواح وإذا تأملنا قليلًا الطرقات والشوارع الموصوفة ، نجد بأن قسنطينة أصبحت كلها أحياء وأسواق شعبية لا وجود فيها لأماكن خاصة مثلما كانت عليه أثناء الاستعمار كما عاشها ومازال يتصورها بوالارواح . تغير كل شيء ، حتى عقلية الأصدقاء القُدماء الذين تكيفُوا حسب مُقتضيات الأوضاع الجديدة ، أي المُعايشة جنبًا إلى جنب مع الطبقة الكادحة .

إنّ هذه النظرة للواقع الجزائري بصفة عامّة أو القسنطيني بصفة خاصة تبين لنا بأنها أحياء خاصة بالبرجوازية ، لا يقتحمها الشعب الكادحو مازالت عقليات بورجوازية متعفنة مثل عقلية بوالارواح ، ولا يسمح للأديب الواقعي الملتزم أن يتجاهلها لأنّها تمثل قوة مُضادة لمطامح الطبقة الكادحة ، ربّما النظرة التفاؤلية ، الثابتة في الثورة التي تستحق هذه العقليات في المُستقبل القريب أو البعيد ي التي أدّتبوطّار أن يتجاهلها .

غاب بوالارواح مُدة طويلة لم ير فيها قسنطينة : سبع سنوات في تونس ، وتسع سنوات في العاصمة كان يشغل منصب مُدير ثانوية ، بينما أراضيه كانت تخدم من طرف الوكيل ، ترسل له أسعار المنتوجات إلى العاصمة ، يشغل منصبين : الأول شرعي بينما الثاني لا شرعية فيه ولا يمكن الاستمرارية فيه .

" جاء ليبحث عن وارثين ليقسم عليهم الأرض تقسيمًا اسميًا بينما الوع يبقى كما هو : هم يعملون و يُنتجون ، وهو يأخذ كل الأرباح بدون أية مشقة كمالك شرعي أمام الله وعباده. ولكن يا للأسف يكتشف بأنه جاء مُتأخرًا ، بينما كان يظن أنه قد سبق الدولة ، ويستطيع العمل في الخفا قبل أن يتفطن عامة الناس إلى خُبثه . جاء مُتأخرًا

لأنّ خبر الإصلاح الزراعي انتشر منذ مُدة وأدرك الناس مدى صلاحيته ومنفعته للجماهير الريفية[1] .".

يعلم كل الناس بهذا المشروع وما يحتويه من أفكار اشتراكية هادفة ، بدأ الحماس الممزوج بفقد الأمل يتغلغل في نفسية بوالارواح وشرع يبحث عن وارثين يشاركونه في عملية يائسة .

لم يكن لديه ابن أو ابنة كي يستفيدا منها كوارثين ، إنه عقيم ، يصرح وطّار بأنّ هذا العُقم يرمز إلى عقم الفكر الإقطاعي وليس لهذا الفكر من يخلفه ويحمل مفاهيمه إلى أجيال قادمة .

2. سيدي مسيد :

يستمر الكاتب في سرد واقع قسنطينة ، واقع الطبقة الكادحة من العاطلين ، وماسحي الأحذية والمُتسولين وأصحاب الحرف البسيطة ... نكتشف هذه الفئة التي قبعت مدة طويلة على هامش المجتمع الجزائري باكتشافنا لشوارع المدينة القديمة

كأن المؤلف يحمل معه مُصورة – كاميرا – ومُسجلة وذهب يصور ويلتقط الأصوات التي يمر بها بكفاءة أدواته الأدبية واحتكاكه اليومي بهؤلاء المغضوب عليهم من الناس ومعايشة آلامهم الخالدة وأفراحهم النادرة يستمر اكتشافنا لشخصية بوالارواح شخصية الإقطاعي المثالي .

فلا نرى إلا الجانب الإيجابي الذي يدعم الشخصية البرجوازية الإقطاعية من نظرة نفعية وبخل واحتقار للفئات الفقيرة التي يضيق منها أيما ضيق ، شخصية الرجل الذي لم يتوصل إلى جمع الأموال إلا من خلال السرقة ، سواء كانت مباشرة أو غير مُباشرة . هنا يتّضح أكثر هدف زيارة الإقطاعي لقسنطينة ، جاء يبحث عن وارثين ليقسم عليهم أراضيه خوفًا من تطبيق الإصلاح الزراعي بحيث يبحث عن هؤلاء الوارثين من بين عائلته التي فقد الصلة بها منذ مدة طويلة لا تقل عن تسعة عشر سنة . لم يكن واثقا كل الثقة بهم ، لأن معاملته معهم لم تكن حسنة يومًا أولهم أخو زوجته الأولى الذي قابله لآخر مرة حينما جاء يقترض منه مالًا لشراء لوازم الحلاقة

[1]– علي ملاحي ، هكذا تكلم الطاهر وطار ، ص 340 .

فاستقبله بوالارواح بعنف وسخرية وطرده من داره ، ثانيهم ابن عمه الذي سرق له قطعة أرض : مائة هكتار جيدة ضمها إلى ثروته ، أقرضه مالا وطلب منه رهن أرضه كضمان ، لم يتمكن ابن العم من جمع المال الكافي ليتخلص من الدين ويسترجع أرضه . استنجد بو الأرواح بأهل الحل والربط " الجندارما " وضمها إلى ثروته الكبيرة ، ليصبح في منصب الباشوات ، والآغوات وأهل المال والجاه .

ثالثهم عيسى ابن خالته ، الذي تركه صغيرًا في الثامنة عشر من عمره ، لقد سجل الأرض التي تركتها خالته على اسمه ولم يتفطن هذا الصبي ، إذ ليس بينه وبين الصّبي أي خصام أو عداوة .

وتستمر القائمة طويلة ، لبعض أقاربه ، فكل واحد منهم كان فريسةً له ، مُستسلمًا ، ليس له القُدرة على الدفاع عن حقوقه .

إن هذا الجانب من شخصية بوالأرواح (كيفية جمع ثروته وأمواله ، بالسّرقة والحيلة والمكر والخداع) هو من سيمات الشخصية البورجوازية والإقطاعية ككل في أي بُقعة من العالم . فكل واحد منهم لا يجمع ماله إلا بالوسائل اللاشرعية ولا إنسانية إنه مُستغل لذلك يجب القضاء عليه جسديًا أو اقتصاديًا فقط .

" يكشف لنا وطار في عمله الأدبي ، هذا الجانب المُهم من جوانب النظام الإقطاعي والرأسمالي الذي انتهت مرحلته – نظريًا على الأقل – لأن الشعوب المُستغلة المُضطهدة استيقظت وزال السّتار الذي وضعته هذه الطبقة لتُخفي نواياها تحته[1] ".

نذهب بعيدًا ونقول بأنّ الملكية الخاصة المُستغلة يجب أنْ تزول لتسود العدالة الاجتماعية في ظلّ النّظام الاشتراكي.

3. سيدي راشد:

واصل عبد المجيد بو الأرواح تجواله في شوارع قسنطينة ، باحثًا عن وارثيه ، لم يكن مُرتاح البال لمصير أرضه ككلّ الإقطاعيين ، ينقم على الشيوعيين ، هؤلاء المُلحدين الذين يأخذون أوامرًا من الرّوس ليُطبقوها على بلاد الإسلام ككلّ إقطاعي

[1]– محمد ساري ، علي ملاحي ، هكذا تكلم الطاهر وطار ، مقامات نقدية و حوارات مُختارة ، المقام النقدي الأول، ص 342.

ديني يستنجد بالأولياء الصالحين ، في صُور بديعة لكي يكشف لنا من خلال هذه الشخصية نوايا الإقطاع الاستغلالية ، وخوفهم وقلقهم من الأفكار التي يطلقون عليها شُيوعية مُلحدة ، التي تضع حدًا لمشروعهم و نواياهم الخبيثة[1].

كلّ شيء تغير بالنّسبة لبوالأرواح ، قضى سنوات الحرب في تونس هروبًا من المُشاركة فيها ، بينما بقي أفراد عائلته الذين كان يستغلهم ، يخوضون هذه الحرب كُلٌ حسب مقدرته ، إنهم يمثلون الطبقة الفقيرة التي شاركت في حرب التحرير ضد المُستعمر ، ليس لديها مصلحة تخاف فقدها ، إلّا فقرها المُدقع وحياتها المأساوية غير المرغوب فيها .

بحث بوالارواح عن الوارثين الذين سجلهم لديه لكنه في الأخير اكتشف أنهم تغيروا مع الحرب ، من نجا منها تغير مع الاستقلال ، كلٌّ منهم – الثلاثة الأولون الذين وجد آثارهم – شارك في حرب التّحرير، الأوّل أخو زوجته عمّار، استشهد على أيدي المُستعمر، أعلنوا عن مخبئه وجاء الجيش الفرنسي وأطلق النار عليه هو وصديق له، الخبيث كان أحد أصدقا بوالارواح قبل الحرب .

خرج الثّاني بطلًا بعد الاستقلال وأصبح ضابطا في هياكل الدّولة، و تحوّل الثّالث إلى نقابي، يُنظم الإضرابات بين العُمال والطلبة يُحرضهم على الثورة ضد البرجوازية والانتهازية والاستغلال .

لم يُصدّق شيخنا ما تلقاه من أخبار " لم يكن قد تصور ذلك يومًا ما ، تركته التغييرات مذهولًا فاتجه إلى سيدي راشد يطلب النجدة له والنّقمة على هؤلاء النّاس أعداء الله، أيفقد آماله وطموحاته للاحتفاظ بأرضه ؟، وبدت تصرّفاته غريبة مُضطربة لا يكاد يُسيطر عليها كل السيطرة[2] "

في هذه الفترة يشير وطار إلى سبب الهجرة إلى المدينة واكتظاظها بالسّكان ، إنها البطالة ، تأتي على لسان بوالارواح ، الذي يكتشف وحده هذا الواقع حين يقول : " سبب تجمع الناس في قسنطينة بهذه الصّفة المُخجلة هو البطالة هكذا الشأن في كل

[1]– المرجع السابق ، علي ملاحي ، هكذا تكلم الطاهر وطار، ص 343.

[2]– المرجع نفسه ، ص343.

المُدُن و العواصم الفلاحية ، يد تُنتج و ألف من يستهلك ، واحد يفيض والآلاف تتفرج ستون يومًا عملًا في سنة وثلاث مائة يوم بطالة ، على هذا ترتكز فكرة أصحاب المشروع الجهنمي انتزاع الأراضي من عباد الله الصالحين ، وتوزيعها على جميع الناس ، ليشتغل كلّ واحد بمتر أو مترين ، وبدجاجة أو دجاجتين ، وإخلاء المُدُن ، أو على الأقل عدم تعميرها أكثر[1] . "

4. مجاز الغنم :

تابع شيخنا تجواله في المدينة بحثًا عن الماضي الذي لا يعود ، يبحث عنه في كل الشوارع و الأزقة المُكتظة بالكادحين والفقراء الذين يتطلّعون إلى المُستقبل القريب بقلوب يملؤها الأمل .

5. **جسر المصعد :**

في هذه الفقرة تطرق وطّار إلى ماضي عائلة بوالارواح الذي يرمز بها إلى ماضي الإقطاعية ، إنّ الثّروة التي اكتسبتها عائلته كلها غير شريفة ، اكتسب الجُزء الأوّل منها جدٌ من أجداده بفضل خيانته لأفراد قبيلته أثناء احتلال فرنسا للجزائر وتراكمت الثروة على مرّ الأعوام بنفس العمل الدنيء .

هنا نلاحظ حادثة هامة ، لربما تكلمنا عنها في صفحات سابقة ، ألا وهي عُقم بوالارواح ، بدأ هذا العُقم مع أبيه حيث كان يُنجب الفتيات ويمُتن عند الولادة . لم يعش له إلا عبد المجيد وهذا بدوره ، رغم كلّ المحاولات التي قام بها لم يكن لديه أي طفل ، هذا المقطع من الرواية بين لنا موت الإقطاعية وفنائها ، في الأخير بدأت تُحافظ على النفس الأخير ، وفي جو من القلق والفزع ، بدأت تتصرّف تصرُفات عشوائية تُهيّء لها الطّريق لموتها .

نهضت على أسس غير إنسانية من الاستغلال والمكر والسرقة وستموت بنفس الأسباب ، أن الفكر الإقطاعي في الجزائر لم يمت بعد .

[1]– الطاهر وطار ، الزلزال ، ط 2 ، ص 100 ، 101.

وهذا واقع لمن يعرف جيدًا الأرياف الجزائرية ، " أظن بأن المُؤلف طرح الإقطاع كمُشكلة عالمية، وتكلم عن كيفية فنائه أمام أفكار الثورية الزاحفة[1] ".

6.جسْر الشّياطين :

تنتهي الأحداث بجنون الشيخ بوالارواح الذي بحث طويلًا عن وارثيه ، ليُوزع عليهم الأرض التي يملكها لكنّه لم يجدْ أحدًا.

7.جسر الهواء :

تنتهي الرّواية بصورة فنية رائعة صورة بوالارواح المجنون واقفًا في جسر الهواء و الأطفال الصّغار يُحيطون به ، إنّهم أولاد الفُقراء الكادحين أبناء عُمال " ماشا " و عُمال السكك الحديدية أولاد الشهداء و أولاد " مزبلة بولافرايس " و سويقة وسوق العصر ....

حصروه حتى فكر في الانتحار وذهب ينفد مشروعه لكن الشرطة وصلت في الوقت المناسب لتنقله إلى المستشفى والجنون هنا يشير إلى لا معقولية الفكر الإقطاعي بعد ثورة تحريرية كبرى كان وقودها فلاحين صغار وعمال ومسحوقين[2].

كانت الرواية حقيقية زلزال في الأدب العربي مغربه ومشرقه ، شكلا ومضمونا ، حيث فرضت نفسها كرواية جزائرية من نوع التقدمي التي له صلة وثيقة بقضية الجماهير الكادحة و الثورات التي تزلزل عالم اليوم لتحويله لعالم أفضل .

يتحدث الأدرع شريف مهيبا بهذه الرواية يقول : خلاصة ما تقوله هذه الرواية هو أن الثورة الزراعية كان لابد أن تكون حتمية إلا أن لو تعمق في تحليل الواقع الاجتماعي والظروف التاريخية ومضمون الثورة الزراعية كمهمة ديمقراطية لكان حري أن يتساءل : لماذا لم تتم في 1963 مثلًا ، مع أنها من أول المطالب التي رفعتها الحركة الوطنية من العمليات الاقتصادية التي طرحها ميثاق طرابلس 1963 ولماذا تعلن الحكومة في سنة1963 عن الإصلاح الزراعي وهذا الإعلان لم يبدأ فيه إلا في أوائل السبعينيات .

---

[1]– محمد ساري ، هكذا تكلم الطاهر وطار ، جمع و اختيار و إعداد و تقديم الأستاذ الدكتور علي ملاحي ، ص 345.

[2]– الصافي السعيد ، دراسة الطاهر وطار ، مجلة الثورة مُستمرة ، رقم 33 . 8 أكتوبر 1977م.

إنّ الزّلزال الذي يتحدث عنه وطّار في كلّ فقرات روايته هو زلزال حقيقي نزل على الجزائر ليقلب العالم القديم رأسً على عقب ، ليقذفه بديناميت كما يقول مياكوفسكي ، هذا الزّلزال الذي يهاب منه كل الإقطاعيين والبرجوازيين لأنه سيقضي حتما على مصالحهم ليتوجه إلى الجماهير الشعبية التي انتظرته بفارغ الصبر منذ أزمة مضت ، وكادت تفقد الأمل في انتظاره .

هذا الزّلزال هو ثورة اشتراكية التي رسمت خطوطها في الميثاق الوطني والدستور، وبدأ تطبيقها رغم عراقيل الرجعية الداخلية والخارجية التي تدافع عن نفسها الأخير، وسيتم تطبيقها بفل وعي الجماهير واشتراكها في هياكل التّسيير .

خاتمـــــــة

خاتمـــــــــــــــة

بعد دراستي للرواية الاجتماعية عامّةً و لرواية الطّاهر وطار خاصّةً، استطعتُ حوصلة بعض النتائج أوجزها في الآتي :

- الرواية الاجتماعية : هي الرواية التي تعالج قضايا المُجتمع ، تُصوّر الواقع الاجتماعي وتُجسّد أزمات المُجتمع وتُحلّل قضاياه الأساسية من خلال شخصيات وأحداث الرّواية . وبهذا فالرّواية الاجتماعية من أكثر الفنون الأدبية قُدرةً على تصوير حركة الإنسان في علاقته بمجتمعه سواءً كان هذا التصوير واقعيًا مُباشرًا أو رمزيًا مُستترًا إنّها أكثر أشكال الأدب تأثيرًا وانتشارًا في المُجتمع.

_ نشأت الرّواية الاجتماعية عند الغرب أوّلًا على يد (مدام دي ستايل) ، كما أبدى(رولان بارت) رأيه فيها ، إذ يرى أنها وسيلة مُعبرة عن المجتمع مؤثرة فيه ، كما اهتمت بها كل من إنجلترا وأمريكا .

_ نشأت عند العرب الذين كانوا بحاجة إليها أكثر من غيرهم نظرًا لتأزُم الواقع العربي وتدهوره ، فكاتب الرّواية الاجتماعية يمكنه أن يُبحر بعقل القاريء من خلال قضية مُعينة مُستقاة من الواقع الاجتماعي ، فنجد عددًا من الروائيين الذين أبدعوا في هذا المجال منهم : طه حسين برواية (مُعذبون في الأرض) ومحمد حسين هيكل برواية(زينب) .

_ مُرتكزات الرّواية الاجتماعية لا تختلف عن باقي أنواع الرّواية ما عدا الموضوع أو المضمون ، فهي تُعدّ ترجمة لأحوال المُجتمع وتناقُضاته وأزماته وهمومه وآلامه وأفراحه وإحباطاته .

_ تأخّر ظهورها في الجزائر نظرًا للظّروف التي مرّت بها ، ومهما كانت الأسباب ، يذهب كثير من الدّارسين إلى أنّها قد ظهرت في فترة السّبعينيات من القرن الماضي ، حيث تُعدّ هذه الفترة بداية حياة جديدة للجزائريين بجميع الميادين والأصعدة ، وفيها ارتقت الرواية ، حيث نجد عدة روايات منها : رواية (نهاية الأمس) لعبد الحميد بن

هدوقة 1975م، ورواية (نار و لوز) لعبد المالك مرتاض في نفس السنة ، ورواية اللّاز للطاهر وطار سنة 1972م ، وكذلك روايته الزّلزال 1974م . وغيرها من الأسماء التي كللت هذه الفترة و عملت على تأسيس الرّواية .

_ و تُعدّ القضايا التي تناولها الكُتّاب الجزائريون قضايا اجتماعية واقعية ، حيث لم يتكلفوا العناء في نقلها بل جعلوا من كتاباتهم تصويرًا لواقعهم لا أكثر .

أما مراحل تطور الرّواية الاجتماعية في الجزائر فنجدها مرّت بثلاث مراحل هي على التوالي:

مرحلة السبعينيات : و هي مرحلة التأسيس ثم مرحلة الثمانينيات للتأصيل وأخيرًا فترة التسعينيات أين أخذت الرّواية الاجتماعية منحًى آخر مليئا بالرّعب و العنف و السّواد..

_أغلب الروائيين الجزائريين أبدعوا في تصوير واقعهم برواياتهم التي اكتسبت طابع الواقعية الاجتماعية لا خيال فيها.

_ أثرت التحولات الاجتماعية في الجزائر على كتابات وروايات الطّاهر وطّار، خاصة رواية الزلزال حيث صوّر فيها الحياة الاجتماعية وما عاشه الجزائريون خلال فترة ما بعد الاستقلال من شيوعية و اشتراكية و إقطاعية . خلّفها الاستعمار الغاشم الذي عمل على نشر الفقر والجهل والفساد و كلّ أشكال الدّمار لذا كانت الرّواية الاجتماعية بمثابة مرآة عاكسة للمجتمع الجزائري .

_ كما أنه كشف فيها ما يدور في الأسر الجزائرية من مشاكل مثل : البطالة ، العُقم الميراث ، التهميش ....

_ حاول وطّار من خلال روايته تقديم صورة عن فترة السبعينيات التي عاشها الشّعب الجزائري بعد الاستقلال.

يُعد الطّاهر وطّار من الذين استطاعوا جمع ما هو سياسي وما هو اجتماعي كما اهتم بالشكل الفني إذ جعل الشخوص مُنظمة واضحة من أجل لفت انتباه القارئ خاصة شخصية بوالارواح البرجوازية المتدينة المتشددة .

_ إن الإلمام بأي تجربة إبداعية في كافة تحولاتها تمهل القراءة مُتسعًا من الإدراك لكيفية تكوُنها والاطلاع على خباياها الفكرية والأدبية واكتشاف الآليات الانتاجية لبلورة الخطاب .

_ فقد جعل الروائي الطاهر وطار الخطاب السياسي ضمن خطابه الرّوائي وذلك رغبة منه في نقل الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه البلاد بصدق و دقّة فرواياته تبين لنا الخصائص المشتركة التي تحكم مسار البطل في العمل الأدبي وتُعطي صورة واحدة للمجتمع .

_ رسم الطّاهر وطّار شخصيات روايته رسمًا واقعيًا يمد بصلة لمدينة قسنطينة، إذ كانت بعض الشخصيات تتكلم بالعامية وأخرى تتكلم بالفصحى ، إضافة إلى أنه وظّف التّراث الشعبي بكثرة خاصة في وصفه الدّقيق لشوارع قسنطينة وجسورها .

وفي الأخير أسأل الله سبحانه أنْأكونَ قد وُفّقتُ في دراستي هذه فهو وليّ التوفيق ، والحمد والشكر لله .

الملحق :

الطاهر وطار
الزلزال

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر:

- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، طه ذُر ، مُجلد 2، مادة ب ع د .
- الطّاهر وطار ، الزّلزال ، المُؤسّسة الوطنية للفُنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر ، 2007م .
- عرس بغل ، دار ابن رشد ، بيروت ، ط 1 ، 1978م.

قائمة المراجع:

- إبراهيم عباس ، الرواية المغاربية ، تشَكُل النص السردي في ضوء البُعد الإيديولوجي ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط1، 2005م.
- إبراهيم عبد النور ، الممارسة النقدية في الرواية الجزائرية بين الذاتية و الموضوعية ، قراءة في نماذج نقدية لروايات جزائرية ، الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة ، جامعة بشار ، الجزائر ، (د ت) .
- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، (د ط) ، الجزائر ، 2007م .
- أحمد فرشوخ ، حياة النص دراسات في النص الأدبي ، دار الثقافة ، دار البيضاء ، ط1، 2004م.
- إدريس بودبية ، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، دط، 2007 م.
- بوخليفة بوسعد ، تلقي رواية الزلزال للطاهر وطار في المشهد النقدي و اللغوي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية ، الجزائر ، 2020م.
- حسن المودن ، جدل الجسد و الكتابة في رواية أشجار القيامة للروائي بشير مفتي ، مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري ، الجزائر ، 2010 م .
- حفناوي بعلي ، تحوُلات الخطاب الروائي في الجزائر آفاق التجديد و متاهات التجريب ، دار اليازودي العلمية للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، د ط ، 2015 م .
- راجع البحث عن النقد الأدبي الجديد ، ط1 / 84 ، دار الحديث بيروت.
- رفيق العجم ، موسوعات مصطلحات ابن خلدون و الشريف علي محمد الجرجاني ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان، ط،2003
- ساندي سالم أبو سيف ، الرواية العربية و إشكالية التصنيف ، (دط)، (دت) .

- السعيد بوطاجين ، علامات سردية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2019م.
- سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود و الحدود ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، الرباط ، 2012م ، ط1.سعود فطيمة ، قسم اللغة العربيةو آدابها ، جامعة الجلفة ، د ط ، دت.
- الشريف حبيلة ،الرواية و العُنف ، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المُعاصرة ، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع ، اربد ، الأردن ، ط 1 ، 2010م.
- الصافي السعيد ، دراسة الطاهر وطار ، مجلة الثورة مُستمرة ، رقم 33 . 8 أكتوبر 1977م .
- صبحي حمودي : المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت ، ط 1 ، 2000 م.
- صبري موجي ، الرواية الاجتماعية و تحدياتها ، الأربعاء 10 فبراير 2016م.
- عامر مخلوف ، الرواية و تحولاتها في الجزائر ، دراسة نقدية في ممون الرواية المكتوبة بالعربية ، اتحاد كُتاب العرب ، (دط)، 2000 م.
- عبد العزيز غرمول ، حوار مع الأديب الطاهر وطار ، مجلة الحياة الثقافية ، العدد 32 ، سبتمبر 1984م .
- عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد،(بحث في التجريب و عنف الخطاب عند جيل الثمانينات ، منشورات اتحاد الكُتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، د ط ، 2001م .
- عبد الله عامر الهمالي ، أسلوب البحث الاجتماعي و تقنياته ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ط2، 2003 م.
- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 1998م .

- عبد الواحد رحال ، التجريب في النص الروائي الجزائري ، مخطوط رسالة دكتوراه جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي، الجزائر ، 2014 /2015م .
- علاء السعيد حسان ، نظرية الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، ط1 ، 2014 م.
- علي ملاحي ، هكذا تكلم الطاهر وطار ، مقامات نقدية و حوارات مُختارة ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع (دط)، الجزائر،2011م.
- غنية كبير، الرواية الجزائرية في النقد الأدبي، منشورات الوطن اليوم ، الجزائر ، ط 1، 2015م.
- فتحي بوخالفة ، شعرية القراءة و التأويل ، علم الكتب الحديثة ، الأردن ، ط 1 ، 1010م .
- لطيفة قرور ، هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار ، الشمعة و الدهاليز ، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ، الولي الطار يرفع يديه بالدعاء، بث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري المعاصر ، جامعةمنتوري قسنطينة 2010.
- مجلة القاري للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية ، المجلد 04 ، العدد 04 ، ديسمبر 2021 م
- محمد الغزالي بن يطو ، منازع الكتابة و التجريب في الرواية الجزائرية ، مجلة اشكالات في اللغة و الأدب ، الجزائر، العدد 9 ، ماي 2016م.
- محمد ساري ، الأدب و المجتمع ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، (دت)
- محمد ساري ، علي ملاحي ، هكذا تكلم الطاهر وطار ، مقامات نقدية و حوارات مُختارة ، المقام النقدي الأول.
- محمد مصايف ، النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1983 .

- محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط2 ، 1984م.
- مدحت الجبار، النص من منظوراجتماعي ، دار الوفاء الاسكندرية ، ط1،2001.
- مصطفى فاسي ، دراسات في الرواية الجزائرية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، دط ، د ت .
- نورة بعيو ، مجلة الأثر عدد خاص ، أشغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب ، الخطاب الروائي عند الطاهر وطار ، روايات الطاهر وطار بين الأدلجة و حداثة الكتابة ، جامعة تيزي وزو (الجزائر) ، 2011.
- هشام مريزيق ، المدخل إلى علم الاجتماع ، دار الراية للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008.
- واسيني الأعرج، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية ، دراسة نقدية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989م.
- ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، مقال في الانترنت ، اطلع عليه يوم 22/نوفمبر/2022م .

الـــفـهرس:

إهداء

مقدمة ..... أ – ج

الفصل الأول : الرواية الاجتماعية

المبحث الأول:

مفهوم الرواية الاجتماعية..... **5**

نشأة الرواية الاجتماعية عند الغرب..... **5**

نشأة الرواية الاجتماعية عند العرب **6**

مرتكزات الرواية الاجتماعية..... **8**

المبحث الثاني :

نشأة الرواية الاجتماعية في الجزائر..... **10**

مراحل تطور الرواية الاجتماعية في الجزائر..... **12**

الواقعية الاجتماعية في الروايات الجزائرية..... **16**

الفصل الثاني: البعد الاجتماعي في " الزلزال"

المبحث الأول :

نبذة عن الطاهر وطار..... **20**

العالم الروائي للطاهر وطار..... **22**

أثر التحولات الاجتماعية في روايات الطاهروطار..... **25**

المبحث الثاني :

ملخص رواية الزلزال..... **28**

مفهوم البُعد الاجتماعي..... **29**

البُعد الاجتماعي في رواية الزازال..... **31**

خاتمة **42**

قائمة المصادر و المراجع **45**

فهرس الموضوعات **52**

المُلخَّص:

لقد نالت الرّواية اهتمامًا كبيرًا في السّاحة الأدبية من طرف الدّارسين خاصة الرّواية الاجتماعية باعتبارها الوسيلة الأنسب للتعبير عن هموم الشعب و مُتطلباته و آلامه و آماله إذ عالجت مواضيع مسّت بأفراد المجتمع الواحد ، خاصةً المجتمع الجزائري الذي عانى ويلات الاستعمار فتأخر ظهور الرواية الاجتماعية فيه، إلّا أنها برزت إلى الوجود في فترة السّبعينات من القرن الماضي ، فظهرت كتابات لعدة مُؤلفين عالجوا بعض القضايا الاجتماعية بطريقة فنية من خلال رواياتهم ، و منهم الطّاهر وطّار الذي طرح قضية اجتماعية هامة في روايته الزلزال إذ كشف عن تنوع كبير في أنماط السرد ، و أشكال التعبير ، فرسم حياة المُجتمع الجزائري عامّةً و القسنطيني بصفة خاصة ، مُعتمدًا على الوقائع و الأحداث و الأحاسيس المشحونة في شخصية بوالارواح ، فرواياته اجتماعية بامتياز ، لما تُقدّمه من مظاهر اجتماعية و صُوَر تكشف عن علاقات خاصة تربط بين مجموعة من فئات المُجتمع الواحد .

و من هذا تصبح الكتابة الروائية الوطارية التزام أخلاقي و أدبي ، اتجاه الواقع و الجزائر.

الكلمات المفتاحية :

الرواية الاجتماعية ، الزلزال ، الطاهر وطار ، الأدب ، الجزائر ، بوالأرواح ، قسنطينة ..

Summary:

The novel has received great attention in the literary arena by scholars, especially the social novel, as it is the most suitable way to express the concerns, requirements, pains and hopes of the people, as it has dealt with topics that affected the members of the same society, especially the Algerian society, which suffered from the scourge of colonialism, and the emergence of the social novel was delayed in it. It came into existence in the seventies of the last century, and the writings of several authors appeared who dealt with some social issues in an artistic way through their novels, including Taher Wattar, who raised the issue of his sheltering the earthquake, as he revealed a great diversity in narrative patterns and forms of expression, drawing the life of Algerian society in general and Constantinople in particular .Relying on facts, events, and feelings charged with a character with spirits, his novels are social par excellence, because of the social manifestations and images they present that reveal special relationships that bind a group of groups of the same society.

And from this, the Wataria novel writing becomes a moral and moral commitment, towards reality and Algeria.

key words :

The social novel, the earthquake, Al-Taher Wattar, literature, Algeria, with souls, Constantine.